الـطَّـوَّاف

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ ـ ٢٠٢٠م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٩/٢٢٣٥٦

بطاقة فهرسة

عرفة ، وليد

الطَّوَّاف: رواية/ وليد عرفة، ط١ - القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩

١٢٠ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ٠-١٩٦-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١ - القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

رائد مجدي

التدقيق اللغوي

خالد رجب عواد

التنسيق والإخراج

أحمد البسيوني

الطَّوَّاف

رواية

وليد عرفة

الجزء الأول

تنويه ..

كل الأحداث التي ستقرؤها هنا أحداث حقيقية،

وليست لها أي علاقة بالخيال ...

وليد عرفة

هنا ...

ستجد تفاصيل لأحداث لم تكن لتسمع عنها من قبل.

هنا ستقع مع من وقعوا، وسيرتفع نجمُك حتى تكاد تلامس يداك السماء، هنا ستجد مَن يُشبهك، وستجد أبطالًا صدَّرهم لك المجتمع حتى تجد مَن تقتدي به في عالم العهر والانحلال.

ولكن علينا أولًا أن نعقد اتفاقًا

(أنت هنا لتقرأ .. وأنا هنا لأكتب لك ما ستقرؤه).

وليد عرفة

إهداء ..

إلى أولئك المُغرِّدين في ساحات الحرية في كل مكان ..

إلى أولئك الذين اختاروا الرحيل من أجل البقاء..

إلى أولئك الشهداء الذين قدَّموا أرواحهم لإسقاط الطغاة..

إلى شهداء الميدان الحر الشريف..

إلى أطهر جيل شهدته الأمة العربية على مدار تاريخها كله..

إلى أحرار تونس، مصر، ليبيا، سوريا، الجزائر، إلى أبطال السودان

إلى الحالمين بالعدل، إلى الطامحين بالغد، وإلى المسافرين بالجسد تاركين أرواحهم تسبح في سماء الطُّهر والعفة والحب والمساواة ...

إلى الأحرار في كل مكان ..

إليكم أُهدي هذا النص.

وليد عرفة

في هذا الكتاب..

ستطوف معي الأرض، وستنزع عنك هذا الجسد، وتتحرر بروحك لتطوف معي بين الأزمان، أَعلمُ يا صديقي أنك لطالما تمنيت أن تُخلق في عالم غير العالم، وفي زمان غير الزمان.. وأَعلم أنك لطالما حلُمت أن تصاحب نبيًّا في دعوته، أو تجالس حواريًّا أو صحابيًّا، لطالما قتلتك الحسرة وأنت تعلم أنك خُلِقت في زمن انتهت فيه المعجزات، وخلت الأرض فيه من الأنبياء.

ولكنني اليوم ..

سأجعلك تشاهد الأحداث وتراقب المشهد، سأجعلك تطوف الأرض.

في هذا الكتاب..

ستشاهد تفاصيل العالم التي حلمت يومًا أن تَطلع عليها. ستخرج من بلادك لتطوف البلاد مع إدريس، وستركب السفينة لتنجو من الطوفان مع نوح، ستعلم من أين جاءت عبادة الأصنام مع هود، وسنبكي معًا على ناقة صالح..

في هذا الكتاب..

سآخذك من يدِك لأُريك بأم عينيك أرض الخبائث، هناك حيث يسكن لوط، وسنتحسس خُطانا لكي نشاهد النمرود، وهو يضع الخليل إبراهيم في النار، ويعقد هذا الاتفاق الملعون مع إبليس على إقامة الصرح المهيب، ستشعر وأنت معي أنك حُرٌّ، لكن للحرية ضريبة، وعليك أن تدفعها، سأرعاك حتى تنضج، فإذا نضجت فلا ترهقني من أمري عُسرًا، أنت هنا مُسيَّر، وأنا من سيتحكم في سفرك، ما دمتَ لم تُغلق الصفحات فأنا كفيلك، ولن تغادر هذه الأرض إلا بشروط ...

هل أنت مستعد الآن للانطلاق؟

حسنًا..

فقط أرِحْ ظهرك للوراء قليلًا..

أغمض عينيك..

املأ رئتيك بالهواء الكافي؛ لأنك ستحتاج إليه ..

انطلق ..

جبل قاسيون (سوريا)
زمن آدم عليه السلام

هنا لا بد أن تستجمع كل قُواك لأنك سترى بعيون الجبال ونبض الصحراء .. هل تراه؟

إنه هناك ذاهبًا إلى مكة، إنه أبو البشرية جمعاء .. البشري الذي أخرج الملعون من الجنة..

إنـــــه (آدم عليه السلام).

تراه الآن يعدُّ العدة من أجل السفر لأداء فريضة الحج..

نعم فريضة الحج يا صديقي، فهي أقدم الفرائض التي فرضها الله في الأرض، ولكن عليه أولًا أن يستحفظ السماء على بَنيه، فاستحفظها، فأبت، فاستحفظ الأراضين والجبال، فأبتا أيضًا، فالأمر جلل، والأمانة عظيمة.

ولكن من تَراهُ سيحملها على كاهله ليسقط في غيابات الجحيم!

إنه هو ... قابيل.

رضي قابيل بحمل هذه الأمانة حتى يُخلي بينه وبين أخيه.

وطوَّعت له نفسه قتل أخيه، فقتله وكان نائمًا بالقُرب من جبل قاسيون.

تعجَّب الجبل من صَنيع قابيل، وكيف أراق دم أخيه هابيل بهذه الوحشية، وهذا السَّفك المتعمَّد للدماء ...

فَتح الجبل عينه في دهشةٍ لكي يراقب المشهد، وبعد أن استوعبَ ما فعله الأخ بأخيه من أجل القربان العظيم، فتح الجبل فاهُ وأراد أن ينقضَّ على القاتل لقتله، ولكن هناك قوى أوقفتْهُ ومنعته مما كان مقبلًا على فعله، فما زال الجبل شاخصًا عينيه حتى الآن يبكي من هول ما رأى وسمع من فعل بني البشر ..

ورفض أن يشرب من دماء هابيل، فظلت تلك الدماء إلى الآن محبوسة في مغارة الدم في جبل قاسيون..

حمل قابيل أخاه على ظهره ما يقرب من العام، لا يعرف كيف يُواري جثمان أخيه، إلى أن بَعَثَ الله غُرابين تصارعا فقتل أحدهما الآخر، فنَبَشَ القاتلُ في الأرض حتى يُواري جثمان من قَتلَ، ففَعَلَ قابيلُ ما فَعَلَ الغراب ...

بعد هذه الحادثة فَرَّ قابيل مع زوجته إلى السهول البعيدة خشية لقاء أبيه آدم – عليه السلام – وتناسلا، وكَثُرَ نسل قابيل..

وعاد آدم – عليه السلام – وعَلم ما كان يُخبئه له الشيطان، ففوَّض أمره لله؛ لعل الله يُخلفه خيرًا منه، ويبدله بالصبر على مصيبته ما تَقرُّ به عينه ...

ثم أكمل آدم – عليه السلام – حياته في الجبال، ووُلد له (شيث علية السلام) في هذا الزمن، فقرَّبه آدم إليه لما رأى فيه من علامات النُّبوة والصلاح، فزاده في العلم حتى يحمل راية التوحيد من بعده ...

عاش (شيث علية السلام) في الجبال الوعرة مع أبيه آدم وأمِّه حواء، وعاش أخوه قابيل في منطقة السهل ...

***

تكاثَرَ قومُ شيث – عليه السلام – في كل شيء، وأغدق الله عليهم الخير الكثير، وكان في الرجال من جمال الخِلقة والخُلق ما لم يكن في سكان السهل، وكان العكس في النساء..

ولكن ...!!

هل سيظل الشيطان هكذا في حالة الغياب التام من المشهد والأحداث! بالطبع لا..

فقط اصعدْ معي الآن يا صديقي إلى هذا الجبل لكي أجعلَك تراه، ولكن دون أن تُصدر أيَّ صوت..

فلو رآنا .. فالله وحده أعلم كُيف ستكون نهايتنا.

انظر .. انظر.

هل تراه؟

إنه هناك يرتدي زِيَّ الخادم المسكين .. زِيَّ الغلام الوديع الذي يعمل أجيرًا لدى رجل منهم، وبعدها بزمنٍ أخذ يبتكر لهم الأمور الغريبة، وأشكال اللِّباس المتنوعة، وجعل لهم عيدًا يجتمعون فيه، فتبرَّجت النساء للرجال، وصنع لهم مزمارًا كمزامير الرُّعاة، وأخذ يُزمِّر فيه بصوتٍ جميل لم يُسمع مثله من قبل.

في تلك الأثناء أخذ الصوتُ ينتقل في الهواء، حتى اقترب من الجبال، فسمعه بعض قوم شيث من ضعيفي النفوس، ولفتت غرابته انتباهَهُم فأخذوا يقتربون من ديار قوم قابيل، ويراقبونهم من بعيد، ويستمعون إلى مزاميرهم، لكنهم خافوا من عقاب شيث – عليه السلام – لهم، فاكتفوا بالاستماع والمشاهدة من بعيد. ولكن هل سيظل الحال كما هو عليه الآن؟ وهل سيكتفي هؤلاء بمجرد النظر من بعيد دون الدخول إلى تلك الأرض؟

هنا لمعت عينا إبليس وقرر أن يذهب إليهم فينظر في أمرهم، إن أرادوا الدخول فهو معهم أينما ذهبوا، يقضي لهم حاجاتهم ويُسهل لهم سبيل الوصول.

***

دار إبليس حولهم في دهاء مرتديًا زيَّ الخادم الناصح الخاضع لهؤلاء السادة، وعرض عليهم الدخول معه إلى السهل، وأنه بدوره سيُلبي لهم كل مطالبهم، وسَيمْدُدُهُم بأجمل نساء هذه الأرض، ولكن فقط عليهم تجاوز الجبل والدخول معه إلى سهول قابيل..

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، وقرروا أن يبعثوا معه رسولًا، فينظر كيف هو الحال، وكيف تكون حياتهم في السهل، ثم يعود إليهم بالخبر اليقين ...

هنا تجرَّأ رجل من قوم شيث عليه السلام، ودخل بين قوم قابيل في عيدهم بصحبة لوسفير أمير الظلام، فتعجَّب من حُسن نسائهم، وطريقة تبرجهنَّ، ومن جمالهنَّ الشديد، ثم رجع ذلك الرجل إلى رفاقه، وأخبرهم بما رأى من حُسنٍ وجمالٍ وتبرجٍ، حتى أغراهم بما قال ووصف، فعصوا شيث عليه السلام، ودخلوا في عيدهم، واختلطوا بنسائهم، وافتُتنوا بحسنهنَّ، وافتُتنت النساء بحسنهم، وحلَّق إبليس منتشيًا بهذا الانتصار العظيم، ورفع رأسه إلى السماء، وتذكَّر ما كان من أمر آدم عليه السلام ... فاشتدَّ غيظُه، وتذكَّر ما دار بينه وبين ربه في اللقاء الأخير:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾.

وحدث اللقاء بين رجال الجبل ونساء السهل، ليكون ذلك أول زنا يقع في تاريخ البشرية.

بعد تلك الحادثة تسامَعَ ضُعفاء الإيمان من قوم شيث بما حدث، فهفت نفوسُهم إلى المعاصي والافتتان بالنساء، وأخذوا يُهاجرون من الجبال إلى السهول، حتى بدأ يقلُّ عدد أصحاب شيث - عليه السلام - مقابل زيادة عدد قوم قابيل، ودبَّ الفساد والفسق والفواحش في قوم قابيل ومَن هاجر إليهم، وامتدَّ فُحشهم إلى خارج قُراهم، فأخذوا يهجمون على المؤمنين فيؤذونهم ويقتلون منهم، فانتشر القتل والزنا وسَفْكُ الدماء في الأرض..

هنا أرسلَ الله تعالى..

(إدريس عليه السلام)

مدينة بابل ٤٠٠٠ ق.م

في زمنٍ ساد فيه الظلام رُبوعَ الأرض، وكست الدنيا ملامحُ العتمة، في زمنٍ بكت فيه السماء، وغضبت فيه الأرض، وتعجَّبت الملائكة من صَنيع ولدٍ آدم ... في فترة من فترات التاريخ البشري التي لا يعرف عنها الكثيرون أي شيء ..

جلس يخطُّ بعصاه في الرمال، إنه هناك ... هل تراه؟ إنه ذلك المهيب في قومه .. إنـه (إدريس بن يارد بن مهلائيل)، أول أنبياء آدم، أُعطي النبوة بعد (آدم) و(شيث) عليهما السلام، إنه ذلك المعلم الفذ في تاريخ البشرية، ذلك الزاهد الذي لا يكلُّ من دعوة الناس لعبادة رب الأرباب..

***

لم يأتِ إدريس برسالةٍ جديدة، بل دعا بما دعا به (شيث) و(آدم) عليهما السلام، فكانت الأرض في زمنه ما زالت في حالتها البِكر التي لم تُدنس بَعد

بعبادة غير الله، ولكنهُ الصراع الأزلي بين قوى الخير والشر، ذلك الصراع القائم ما بقيت السماء والأرض..

دعا (إدريس) العُصاة إلى العودة إلى شرع الله، وعدم الخروج على شريعة (شيث عليه السلام) ولكن رفض قوم قابيل ما أمرهم به إدريس، وقرروا التمادي فيما يفعلون..

فتعالت ضحكات (إبليس) لَّما وجد أن بذرة الشر التي وضعها فيهم قد أتت بثمارها، وقرروا ألَّا ينصاعوا لأوامر نبي الله إدريس عليه السلام ..

وهنا أخذت إبليس العزة، وشعر أنه سيدهم بعدما أصبح له شأن، وبعدما أظهر لهم من الفِتن المستحدثة والقوة ما لم يكن فيهم .. فجمعهم ذات يوم وأبلغهم أن إدريس لن يتركهم فيما هم فيه، وعليهم أن يعدوا العُدة للقائه .. فسأله أحدُهم عن سبب عِلمه، ومَن أين يأتي بكل هذه الأخبار والأحداث قبل وقوعها وبزمن ليس بالقريب؟!

وهنا اشتدَّ غضبُ إبليس، وتحوَّل إلى هيئته الشيطانية الملعونة، واقترب منه وهمس في أذنه كالفحيح قائلًا له:

(ليس لك أن تعرف كل ما أعرف .. فلستُ أنا وأنت إلا حلفاء بحلفٍ، أنا السيد فيه، وما أنت ببالغ مبلغي ولو سعيتَ. فما أنت في النهاية سوى بشري تبول وتجوع وتموت).

هنا عَلموا عِظم ما نهاهم عنه شيث – عليه السلام – وهَول ما هم فيه.

***

في هذه الأثناء جهَّز (إدريس عليه السلام) جيشًا عظيمًا من الخيول والمشاة، وهجم على قوم قابيل فهزمَهم، وقتل وسبى منهم، فكان إدريس بذلك أول مَن شرع القتال في سبيل الله تعالى، وأول من سبى من الأنبياء.. ولكنه لم يكتفِ بهذا فحسب، فأخذ يحاور كل طائفة منهم بلسانهم (٧٢ لسانًا) هي جملة اللغات في هذا الزمان وذلك العصر ..

ثم أخذ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عما كانوا يفعلون، فخطَّ لهم بالقلم، وعلَّمهم الكتابة، وأخذ يُخطِّط لهم المدن، ويشرح لهم كيف تكون الدول، وكيف يكون العمران في الأرض، فهُم ما خُلقوا إلا لعمارة الأرض وعبادة الرب. وظَلَّ هكذا يعلمهم حتى بُني في عهده ١٨٨ مدينة من أجمل المدن التي شهدتها الأرض.

***

هنا صاح إبليس اللعين، وتذكَّر أمر أجداده ممن كانوا يسكنون الأرض قبل خلق آدم، وكيف قضت الملائكة عليهم، ولم تُبقِ منهم من أحدٍ، إلَّا مَن فَرَّ منهم إلى تلك الأماكن التي تأنف الملائكة أن تدخلها، وبعد صعود الملائكة إلى السماء حاملة معها إبليس، نفخ (إسرافيل) في البوق وهو ينظر إلى الأرض التي عَمَّتها الفوضى، وانتشر فيها الخراب وقال:

(لقد فعلنا ما أُمرنا به، فسلام عليك يا سوميا أنت وبنيك من الجان الآن).

وقفلت السماء، فظهر وهجٌ عظيم أحرقَ الأرض وزلزلها، خَلفه غبار

كثيف أظلم الأرض لمدة عام مات فيه من الجان ما مات.. حتى دعا سوميا ربَّه، ودعا أبناءه من الجان إلىً العودة إلى الله والإكثار من الاستغفار، فظهرت الشمس من جديد، لكي تفتح صفحة هي الأولى في التاريخ بعد عام الظلام الذي أحاط بالأرض، وعُرف هذا العصر بـــ (عصر الجان الثاني).

***

توالت الأحداث أمام عيني لوسفير، وهو يبكى بكاء شديدًا على ما فعله إدريس فيه، وما فعله (مهلاييل) جد سيدنا إدريس من قبل .. فبعد وفاة آدم وحواء، ظهر إبليس وجُنده من شياطين الجن والمردة والغيلان للعلن؛ ليبسطوا نفوذهم على الحياة في الأرض، فكوَّن (مهلاييل) جيشًا من البشر لملاقاة جيش الجان، فهزمهم شَرَّ هزيمةٍ، وهذه كانت أول معركةٍ في التاريخ تحدث بين البشر والشياطين الذين سكنوا الأرض، ولم يكتفِ مهلاييل بهذا، فقد أسَّس مدينتين مُحصَّنتين هما مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى ليحتمي بهما الإنس من الجن. ثم أسَّس الجيش الإنسي الذي هو أول جيشٍ عرفته البشرية على مدار تاريخها كله.

عض الملعون على يديه من الغيظ وهو يتذكَّر كل هذه الأحداث .. إلى أن رفع رأسه ناحية السماء لكي ينطلق، فإذا به يرى مشهد خروجه من الجنة على يد آدم عليه السلام .. فصرخ في غضب:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

ثم انطلقَ.

طاف إدريس – عليه السلام – الأرض يدعو لعبادة الله وحده لا شريك له، فسادَ السلامُ، وعمَّ الرخاءُ، وتكاثَر البشر، وبُنيت المدن، وعلَّمهم علم السياسة والمدنية والزراعة، واستحدث إدريس لنفسه وللبشرية من بعده ذلك الثوب الأنيق الذي أراك تتباهى به بين الخلائق الآن، واستمرّ الأمر على هذا الحال إلى أن رَفَعَ الله إدريس – عليه السلام – إلى السماء الرابعة.

زمن ما قبل الطوفان

بعد ألف عام من وفاة آدم – عليه السلام – أو يزيد، وبعد رَفْع إدريس إلى السماء الرابعة بعدة قرون.. في فترة من فترات التوحيد في الأرضَ، ظهر خمسة من الرجال الربانيين المؤمنين العابدين الموحِّدين لله عز وجل، وهم (ود، سواع، يغوث، يعوق، ونسر)، ظَلَّ هؤلاء الرجال يدعون إلى التمسك بما جاء به إدريس – عليه السلام – ومن قبله شيث وآدم – عليهما السلام – وظلوا يحثون الناس على التقرب إلى الله والتغلُّب على الشهوات، والزهد في متاع الحياة البالي فعشقهم الناس، وأحبُّوهم حبًّا شديدًا .. ومات هؤلاء الرجال بعد فترة طويلة من النُّصح، ونَشْر العلم النافع بين الناس، فظل الناس يذكرونهم بكل الخير، وينسبون الفضل لهم على ما هم فيه من علم ودين .. ولكن... انتظر .. انتظر أرجوك ... هل تشتمُّ معي هذه الرائحةً الخبيثة التي أحاطت بهذه القرية؟! من أين جاءت؟! وما سبب هذا العفن؟! إنه هو .. أنه هو.

اصعد معي، فلا وقت لكي أشرح لك الآن، إنه قادم..

قادم.

عودة إبليس ..

عاد الملعون من جديد، وظهر للناس، ولكن في هذه المرة ليس بزي الخادم المسكين، بل بزي رجل الدِّين الوَرِع، ذلك الإنسان التقي الذي يحثُّهم على إقامة الشعائر، وتعظيم عِباد الله الصالحين، ويُحبِّبهم في إحياء ذكرى هؤلاء الرجال الخمسة ... وتمجيدًا لذكراهم أمرهم أن يصنعوا صورًا وتماثيل لهؤلاء الرجال الصالحين. .. فأطاعوه، وصنعوا لهم صورًا وتماثيل ووضعوها منتشرة في كل مكان، وصاروا يقدسونها، ويذهبون إليها في طلب الحاجة.

ولَمَّا طالت الأيام، وتغيَّرت الأجيال، وكَثُر الجهلُ والفساد في الأرض، أمَرَهم أن يعبدوا هذه التماثيل والأصنام الخمسة:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

فأطاعوه وعبدوهم واتخذوهم آلهةً من دون الله، فصاروا كافرين مشركين، بعد أن كانوا مؤمنين موحِّدين .. ومن هنا بدأت عبادة الأصنام والشرك بالله

لأول مرة في تاريخ الجنس البشري على الإطلاق .. ظل الأمر هكذا على الأرض لفترة ليست بالقليلة، حتى صارت عبادة تلك الأصنام هي المنهج والميراث الذي خلفه الآباء للأبناء، ومع تعاقُب الأجيال ظهر جيلٌ لم يعد يعبد غير تلك الأصنام، ويسجدون لها جهارًا، ويشدُّون إليها الرِّحال.

***

لا تحزن يا صديقي فتلك الأيام نُداولها بين الناس، فهذا الجيل الذي تُحلق فوق سمائه الآن هو أشقى جيل عرفته الأرض.. جيلٌ يعبد أجدادًا لهم كانوا في الأصل يدعونهم للتوحيد وعدم الشرك بالله ... جيلٌ لم يعصِ الله وفقط بل كفروا بوجوده من الأساس.

وهنا كان لا بد من إرسال رسول من عند الله، رسول يأتي بدينٍ جديد لهؤلاء القوم .. رسول هو الأول على الإطلاق.

إنـه (نوح عليه السلام).

زمن الطوفان

قَوم بني راسب (العراق)

الآن أنت في حضرة الرسول الأول على هذه الأرض.. الأب الثاني للبشرية بعد آدم عليه السلام .. النبي الذي لولاه ما كنت لتطوف معي الآن.. انتبهْ جيدًا فأنت معي في حضرة ..

(نوح بن لامك بن متوشلخ بن إدريس).

عاش نوح عليه السلام بين قومه فترة من الزمن قبل نزول الوحي، يتعجب من صنيع هؤلاء الناس الذين يدعون أصنامًا بأسمائها، ومَن يشتدُّ منهم في القوة والمال يصبح مَن يعبده هذا الرجل هو الإله المُسيطر على قلوب الناس خوفًا من بطشه واضطهاده.

شاعت الوثنية وعبادة الأصنام، وانتشر الفجور والفساد في الأرض، وحلَّق إبليس كعادته فوق سماء بني راسب، يدعوهم إلى الإكثار من صُنع الآلهة، فلم تعد تخلو دار من وجود التماثيل التي صنعوها بأيديهم، بل تمادوا أكثر من ذلك، ووضعوها في الطرقات وعلى شواطئ نهر الفرات ... كان سيدنا نوح - عليه السلام - يتأمل منظر الناس وهم يسجدون لتلك الأصنام، والحسرة تملأ قلبه شفقةً عليهم .. وذات يوم رأى الناس نوحًا على غير العادة يهتف فيهم:

يا قومي .. إني رسول الله إليكم، الله الواحد الأحد، الله الذي خلقكم وهو الذي يرزقكم، كُفوا عن عبادة تلك الأصنام التي لا تَضُرُّ ولا تنفع، وانظروا إلى السماء الواسعة وما فيها من نجوم، انظروا إلى الشمس، وانظروا إلى القمر، انظروا كيف يعيش الناس ويموتون جيلًا بعد آخر .. أيا قومي، ما لكم لا ترجون لله وقارًا؟!

تعجَّب الناس من صنيع نوح عليه السلام، فكيف تجرَّأ هذا النجار الفقير أن يسُبَّ آلهتهم، ويسُب ما كان يعبده آباؤهم من قبل؟ هنا ظهر إبليس

والغضب قد بلغ منه مبلغه، فهو لم ينسَ ما فعله إدريس جَدُّ سيدنا نوح به من قبل، فصار إلى كبير قوم بني راسب في هيئة رجلٍ من أشرافهم، وأمره أن يجمع القوم ويُعنِّفهم، ويحثَّهم على عدم الإنصاتِ لنوح، وإلَّا فالعذاب والموت سيكون مصيرهم ومصير أبنائهم، فصار الناس في الطرقات كلما تقدَّم لهم نوح ليدعوهم يضعون أصابعهم في آذانهم، ويغطون وُجوههم؛ لكيلا يروا نوحًا – عليه السلام – خوفًا من البطش والعقاب.

اشتدَّ البلاءُ بمن آمنَ مع نوح من الضعفاء والمساكين، فآواهم في بيته خوفًا من أن يُصيبهم من قومه ما يُصيبه من أذًى .. عَلم القومُ أن نوحًا يؤويهم في بيته، فأجمعوا أن يذهبوا إليه لكي يخرجوهم .. فخرج عليهم نوح قائلًا: إنهم عباد الله، وهم في ضيافة الرحمن، وأنهم ليسوا في ضيافته .. فسخر منه قومُه، وضحكوا مما يقول.

سنون تمرُّ، وجيل يُسلم راية العصيان للجيل الذي يليه، والكفر أصبح هو الدين القابع في نفوس هؤلاء الناس .. والأصنام صارت مثل المأكل والملبس والمشرب، يسجد لها الناس في الطرقات والحانات وأماكن الفجور. سنون تمرُّ وعقود تمضي ونوح أبدًا لا يكل ولا يمل دعاءهم إلى الله وإلى العودة إليه، والكف عما يعبدون، ولكنه لم يجد منهم غير السخرية والبُعد والعِناد .. بل تمادوا أكثر من ذلك بكثير.

***

فذات يوم دقَّ باب نوح – عليه السلام – فإذا برجل طاعن في السِّن يُمسك في يديه حفيدًا له ويقول: (يا بُني ..سيفتح لنا الآن رجل كذاب مجنون، سيدعوكَ ذات يوم لكي تترك دين آبائك وأجدادك فلا تفعل، وقاومه بكل ما أُوتيت من عزمٍ وجَلَد).

نظر إليهم نوح في عجبٍ: ما بال هؤلاء القوم لا يؤمنون! بل يورثون الكفر جيلًا بعد جيل. هنا رفع الصبيُّ العصا التي كان يتوكأ عليها ذلك العجوز، وضرب بها نبيَّ الله في رأسه ضربة حقدٍ وغِلٍّ، وكفرٍ مبين، فسقط الدم من نبي الله نوح عليه السلام، فعلم أنه لا فائدة من هؤلاء الناس ..

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

صار الناس في الطرقات يُضيِّقون على من آمن مع نوح – عليه السلام – ويلحقون بهم الأذى، ويقطعون عنهم سُبل العيش والسلام.

وذات يوم، جاءت امرأة عجوز إلى نوح – عليه السلام – تئنُّ من طول الصبر والضعف والانكسار وتسأله: (متى وعد الله يا نبي الله؟ متى وعد الله يا مُنقذ الضعيف ونبي الرحمة وملجأ الخائف؟ متى وعد الله يا أبا البشرية بعد آدم؟ طال الصبر واشتدَّ البلاء، وصار الجيل يأتي حاملًا معه الكفر وهو في أحشاء أمِّه .. ومَن يولد على الفطرة يوصيه أهله وهو في صِغره أن يكفُر

بك وبدعوتك .. متى وعد الله يا نبي الله؟ ضاقت بنا الأرض، فأين سَعةُ السماء؟)، هنا رفع نوح – عليه السلام – عينيه إلى السماء والحزن قد ملأ قلبه، ولم يجد ردًّا يشفي به صدر هذه الأمة المؤمنة الصابر، فهبطَ أمينُ السماء حاملًا معه رسالة الوحي ..

(السلام عليك وعلى من اتَّبعك يا نوح .. فإنه لن يؤمن معك من قومك إلا من قد آمن .. فاصنع الفلك، واستعن بالله).

هنا حزن نوح حزنًا لم يحزن مثله قط .. فقد سَبَقَ السيف العذل، ولن يؤمن معه سوى هذا العدد القليل، (٨٠ شخصًا) هم جُملة مَن آمن به طوال تلك المدة الطويلة في عُمر دعوته إلى الله.

عَلِمَ نوح بهذا أنه ما عاد مُكلفًا بالدعوة بعد الآن، وأن عليه تكليفًا آخر، وهو صُنع السفينة. فكَفَّ نوح – عليه السلام – عن دعاء قومه، وخرج خارج القرية التي كانوا يسكنون فيها، وأخذ يصنع السفينة من تلك الأشجار التي أمره الله أن يزرعها في قرون دعوته. ساعده من ساعده من المؤمنين المستضعفين الذين آمنوا به وبرسالته، فأخذوا يجمعون الخشب، وينشرونه، ويقطعونه بأطوال مختلفةٍ حدَّدها لهم نوح عليه السلام، ثم يطلون هذه الألواح بالقار، ثم يثبتونها بالمسامير. إلى أن بلغ طول السفينة ٢٠٠ متر x عرض ٧٠ مترًا x ارتفاع ٢٥ مترًا، مكوَّنة من ثلاثة طوابق .. كانت كافية لكي يحمل نوح عليها من كل شيء في الأرض زوجين. فكان الطابق الأول

للحيوانات البرية والوحوش، والطابق الثاني له ولمن آمن معه، والطابق الثالث للطيور.

لم يتركه قومه من السخرية والاستهزاء به وبما يصنعه، فسخروا منه، واتهموه بالجنون، فكيف لرجلٍ عاقل أن يصنع سفينة في صحراء قاحلة؟ ظل الحال هكذا، والمؤمنون معَ نوح يعملون في السفينة ليلًا ونهارًا بعزم ونشاط لا يفتران ولا ينضبان، لمدة ٨٠ سنة هي مدة بناء السفينة .. حتى انتهت تمامًا، ورُفعت عليها الأشرعة. ظل الناس يترقبون خروج الماء من التنور، فيذهبون كل يوم إلى بيت تلك المرأة، ويقفون أمامه ما بين خوفٍ ورجاء، ما بين شكٍّ ويقين، ما بين رغبة في العيش الكريم وما بين مرارة واقعهم الكئيب.. ظل الحال على هذه الوتيرة إلى أن ..

فار التنورُ

في يوم أعلنت السماء فيه بدأيه عصر جديد على الأرض .. عصر فيه الغلبة ستكون للمؤمنين الموحدين بالله رب العالمين، فازدحمت السماء بالغيوم، كأنها تُصارع بعضها بعضًا في إهلاك هؤلاء المشركين بالله، وغابت الشمس في وَضَح النهار، وحَلَّت محلها ظُلمةُ الغيوم .. وأحسَّ نوح – عليه السلام – أن هنَاك أمرًا سيحدث في هذا اليوم، فأخذ ينظر إلى السماء منتظرًا أمر الله – سبحانه وتعالى – وإذا به كذلك حتى جاءته فتاةٌ صغيرة تبكي وتجري بكل ما أوتيت من قوة؛ لتخبره أن التنور قد فار، وقد خرجت المياه من أعماق أعماق النيران المشتعلة في بيت جدتها.

جرى نوح – عليه السلام – إلى بيت المرأة، فوجد التنور قد تحوَّل إلى نافورة من المياه . والمرأة تنظر، لا تدري ماذا تصنع، أخذ المؤمنون كلهم يُهرولون إلى بيت تلك المرأة لكي يروا العلامة التي أخبرهم بها نوح عليه السلام. نظروا وأعينهم تبكي من الخوف والفرحة معًا. نظروا إلى نوح عليه السلام، فإذا به يصيح فيهم:

الآن، الآن

إلى السفينة يا عباد الله .. وإذا بالسفينة كأنها في انتظارهم حتى ركبوا جميعًا. فدعا نوح الطيور والحيوانات وكل من هو غير عاقل، فجاؤوا إليه يركُضون من نداء واحد ليصدق قول ربُّنا:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾.

وَقَفَ نوح – عليه السلام – على أبواب السفينة حتى يركب كُلٌّ من آمن به وبدعوته. وإذا بزوجته تتخلَّف عنه، فقد كانت على دين قومِها.

زاد صوت الرعد في السماء، وتفتَحَت الأرض عيونًا من ماء، وتساقط المطر، كأن أبواب السماء تصُبُّ غضبها لكي تُطهِّر الأرض من رجز هؤلاء المشركين .. عَلَت النداءات، واشتدَّ البكاء والخوف والرعب . وارتفعت السفينة في الماء، والرياح تضربها من هنا، والموج يقذفها من هناك، وإذا بـ(كنعان) ولد النبي نوح – عليه السلام – يشاهد السفينة وهي تمشي،

فيناديه نوح أن اركب معنا يا بُني، فلا عاصم اليوم من أمر الله. فيرفض كنعان ويقول: سأصعد إلى هذا الجبل لكي أحتمي به .. ثم يذهب ناحيتهُ، فإذا بالجبل قد تفجرت منه عيون من ماء، فابتلعته.

جرت السفينة مُسرعةً كأن أمرًا قد صَدر إليها بالسير، فقد أتَّمت ما قُدر لها من عدد .. تعجَّب نوح، ودعا ربه: يا ربي، إن ابني كان مؤمنًا!

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

***

انطلقت السفينة تشقُّ طريقها ما بين العواصف والأمواج العاتية، تتقاذفها الأمواج ما بين مشرقٍ ومغربٍ، إلى أن وصلت إلى مكة، فطافت حول البيت الحرام ٤٠ طوافًا، ثم تدافعتْها الأمواج ناحية العراق.

١٥٠ يومًا طافت فيها السفينة بالأرض المباركة إلى أن استوت على الجودي. صارت الأرض بحرًا كبيرًا غاصت فيه الجبال، وأبتلع الماء كل شيء .. الرعد يعصف، والسماء لا تكفُّ عن المطر، والرياح تعوي كأنها أعلنت الغضب.

أربعون يومًا كانت كافيه لإغراق الأرض كلها، وابتلاع جبالها وهِضابها.

***

دعا نوح ربهُ في خوفٍ وإشفاق على من نجا معه من المؤمنين، فقد بَلَغَ منهم الخوف مبلغهُ.

شيئًا فشيئًا انقشعت السُّحب، وهدأت الرياح، وأشرقت السماء، وسكن الموج العاتي .. أربعون يومًا رأى فيها المؤمنون المستضعفون في الأرض قُدرة ربِّهم، وعِظيم سُلطانه، وكثرة جنده .. ثم يهدأ كل هذا ليستيقظ المؤمنون ذات صباح على يومٍ هو أجمل أيام الأرض على الإطلاق، فالسماء صافية تمامًا، ويظهر فيها قوس قزح من الألوان البنفسجية والخضراء والزرقاء، تشعرك من أول وهلةٍ أنك في جنةٍ حقيقيةٍ .. ابتسم نوح لمن معه من المؤمنين، فعلموا أنهم نجوا من الطوفان العظيم، وتعانقوا بالأجساد والأرواح معًا.

أرسل نوح – عليه السلام – الغراب لكي يبحث لهم عن أرض خضراء يابسة تصلح للعيش، فطاف الغراب يسعى في الفضاء، ويبحث هنا وهناك، ولكنه عاد ولم يجد أرضًا يابسة تصلح للعيش فيها .. وفي المرة الثانية أرسل نوح – عليه السلام – حمامة بيضاء لكي تقوم بفعل الغراب، فطافت الحمامة في السماء تبحث عن أرض تؤويهم، وإذا بها تهبط على أرض خضراء يابسة، وتأتي بغصن من الزيتون، وتعود به إلى نبي الله نوح .. فرح المؤمنون،

واستبشر نوح، ومن يومها وصارت الحمامة هي عنوان السلام، وغصن الزيتون هو علامة العيش والنماء.

***

ظلت الأرض غارقة بالماء ما يقرب من ١٥٠ يومًا ... ثم..

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

رست السفينة، وابتلعتُ الأرض ماءها، فظهرت من جديد الجبال الراسيات في الأرض كالأعلام، بعد أن غُسلت الأرض كلها من دنس الشرك والوثنية. غادر نوح السفينة لكي يهبط على جبل الجودي في الشمال الغربي للعراق والجنوب الشرقي لتركيا، وهبط معه المؤمنون لكي تعود الحياة على الأرض من جديد بعد أن انقطعت الحياة عليها طوال مدة الطوفان.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

هبط نوح ومن معه عند جبل الجودي، وبنوا أول قريةٍ في تاريخ الأرض بعد الطوفان أسموها قرية (ثمانين) .. صام نوح ومعه المؤمنون في أولِ يومٍ نزلوا فيه من السفينة، وكان يوافق يوم عاشوراء.

عاش الموحدون حياة هادئة ليس فيها ما يُعكر صفوهم، فلم يكن هناك ظالم ولا مظلوم .. لم يكن فيهم مَن يرتكب الآثام ويفعل الشرور .. فهم صفوة الصفوة من المؤمنين الذين سكنوا الأرض. هم دُرة الجنس البشري على الإطلاق .. فمِن نسلهم سيأتي الأنبياء، وستبدأ الأرض في رحلتها الثانية من جديد.

ظل الحال على هذا الأمر سنواتٍ طويلة من الطاعة والمؤاخاة بين المؤمنين، إلى أن ابتلت ألسنتهم ذات يوم بالماء، فتفرقت ألسنتهم إلى ٨٠ لغة، فصاروا لا يفقهون كلام بعضهم البعض، وأصبح نوح - عليه السلام - هو من يُعبر عنهم.

زمن ما بعد الطوفان

هَبَطَ نوح – عليه السلام – ومعه ٣ من أبنائه بعدما مات كنعان غرقًا وهم:

سام أكبر الأبناء، وكان عمره ٩٨ عامًا عند حدوث الطوفان، وعاش ٥٠٠ سنة بعد الطوفان، ومن نسله جاء الآشوريون والعبرانيون والعرب والآراميون. وحام ثاني أبناء نوح – عليه السلام – ومن نسله جاءت الشعوب الأفريقية ومنهم المصريون القدماء والأمازيغ. ويافث ثالث أبناء نوح – عليه السلام – ومن سلالته انبثقت شعوب أوروبا.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

أحسَّ نوح – عليه السلام – باقتراب أجله، فجَمَعَ أولاده، وأوصاهم باثنتين، ونهاهم عن اثنتين، فأما الأوليان، أمرهم بلا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فهي صلاة كل شيء وبها يُرزق الخلق. وأما الأخريان فنهاهم عن الشرك، والكِبر، فما أهلكَ اللهُ القوم إلا لاستكبارهم في الأرض بغير الحق.

مات نوح عليه السلام بعد أن أتمَّ رسالته عن عمر قد تجاوز ١٧٠٠ عام. صام فيها الدهر كله إلا يومين اثنين من كل عام، وهما يوما (عيد الفطر وعيد الأضحى)، لا تتعجب يا صديقي، فما أقصُّه عليك ليس من الإسرائيليات لكي تنكرها، بل هي الحقيقة التي تجهلها، فالنور كله يخرج من مشكاة واحدة.

انتقل نوح إلى جوار ربِّه بعدما أنقذ البشرية من الهلاك، وبعدما أتمَّ رسالته على أكمل وجهٍ.

وادي مُغيث

والآن .. أفْرِغ الهواء الذي في صدرك، واستبدلْ به هواء غيره. أَعلمُ يا صديقي أن الطريق كان طويلًا بل طويلًا جدًّا، وأَعلمُ أنك تريد أن تُغلق الصفحات، لكن تمهَّل يا صديقي، فأنت الآن في أرض الأحلام التي دائمًا ما تسمع عنها في عالم الخيال، وتراها في أفلام الفانتازيا، إنها أرض الشحرُ ــ وادي مغيث ــ بلدة الأحقاف، بالتحديد تلك البقعة ما بين عُمان وحضرموت باليمن.

مرحبًا بك يا صديقي في مدينة العجائب .. أرض الحضارة والعمارة والفن والكيمياء. بلاد تسيَّدت الدنيا في فترة من فترات الظلام في الأرض .. أعطاهم الله كل ما يحتاج إليه شعب مِن مُقوِّمات التقدم والازدهار والرخاء؛ ليقودوا الأمم، ويتسيدوا الدنيا. مرحبًا بك في أرض الأحقاف، أكبر إمبراطوريةٍ في عصور ما قبل الميلاد.

في هذه المرة لن أطلب منك الهبوط معي، ولكنني سأطلبُ منك الصعود، الصعود طويلًا، وبأقصى ما أوتيتَ من سرعةٍ، فأنت في أرض الجبارين، فحذارِ أن يرانا منهم أحد.

مرحبًا بك في أرض الوحوش البشرية .. فمتوسط طول الفرد في هذه الأرض يتراوح ما بين ال ٧٠ إلى الـ ١٠٠ ذراع .. لا مجال الآن للتعجُّب! نعم، أُقسم لك بذلك، فمتوسط الطول في هذه المدينة كما أخبرتُك تمامًا؛ لذا فسنصعد أنا وأنت لكي نرى المشهد، ونُتابع الأحداث، ولكن من بُعد، من أعلى أعالي العماد.

فهل أنت مستعد الآن للانطلاق؟

حسنًا..

انطلق.

زمن هود عليه السلام

انتهى الطوفان، ونزل نوح ومعه المؤمنون إلى الأرض المباركة بعدما استقرت السفينةُ على الجودي، وبدأ الموحِّدون في ممارسة حياتهم الطبيعية في الأرض بعد انقطاع الحياة عليها طوال مدة الطوفان.

وكأن الأرض قد اشتاقت إلى بنى آدم؛ لكي تبدأ فيها رحلةُ البناء والعمران من جديد، فاتسعت الزراعة، وانتشر العمران، وتكاثَرَ البشر، واختلفت اللُّغات بعدما كانوا أمة واحدة، فسافروا وهاجروا وتاجروا وتصاهروا، وبدأت مرحلة التوسُّع والانتشار في الأرض، ولكن ظل هذا الجيل الذي نجا من الطوفان مع نوح - عليه السلام - في ذاكرة كل الأجيال التي جاءت من بعده. فعظموهم وبالغوا في تعظيمهم إلى درجة المبالغة نفسها التي فعلها قوم نوح من قبل، عندما عَظموا أولئك الرجال الخمسة.

هل ما زلتَ تذكرهم؟

فعل قوم هود ما فعله قوم نوح، كأن البشر أبدًا لا يعون الدرس، ولا يُدركون حقيقة الوجود التي ما خلقهم الله إلا من أجلها .. فبالَغَ الناس في تعظيم أجدادهم الناجين من الطوفان، ومع تتابُع الأجيال، صَنَعَ الأحفاد تماثيل للناجين من الطوفان ليتذكروهم بها، وتطوَّر هذا التعظيم جيلًا بعد جيل، إلى أن انقلب إلى عبادتهم، وظهر بعد وفاة نوح عليه السلام بأكثر من ٧٥٠ عامًا رجلٌ يُسمى (عادًا)، وتُنسب إليه قبيلة عاد الأولى. وهم أول من عَبد الأصنام بعد رحلة الطوفان العظيمة، وهم كانوا عربًا مُكوَّنين من ثلاث عشرة قبيلة. ظلموا العباد وقهروهم بسبب قوتهم .. كان قوم عاد يسكنون مكانًا يُسمى الأحقاف، وهي صحراء تمتلئ بالرمال، وتطل على البحر، ومساكنهم كانت قصورًا وخيامًا كبيرة لها أعمدة شديدة الضخامة والارتفاع، وكانوا أعظم أهل زمانهم في قوة الأجسام .. فقد أعطاهم الله بَسْطةً في كل شيء، فأنشؤوا القصور من أفخم أنواع الحجارة وأضخمها في ذلك الزمن، وأطلقوا على مدينتهم اسم (إرم).

أعطاهم الله القدرة على قَطع الجبال وحملها لكي يصنعوا الأعمدة، والأبنية، فأنشؤوا مصانع لصناعة القطع الحجرية المتساوية، ومزارع فيها من كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الطبيعية، ولما رأوا قوتهم ومقدرتهم التي فاقت غيرهم من الأمم فكروا في صناعة مَصلٍ يقيهم الموتَ، ويجعلهم يخلدون في الأرض.

ماذا تقول؟! هل تعنى المعنى الحرفي لهذه الكلمة أم هي مجاز لتقدُّمهم؟ لا يا صديقي، فأنا أعني المعنى الحرفي للكلمة.. نعم .. فقوم هود هُم أول من فكروا في فكرة الخلود في الأرض .. بل أنشؤوا المصانع من أجل هذا، فتدبَّر معي أن شئتَ قوله تعالى:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾.

أظن أنها معلومة جديدة عليك، أليس كذلك؟

لا بد أن تعرف يا صديقي أن كل من ينادي بفكرة الخلود وينفي وجود يوم القيامة الآن، هو فقط نسخة مستحدثة لما فعله أجدادنا في الماضي ..

﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾

عاش القوم في رغدٍ شديد، وتَرفٍ لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين .. ولِمَ لا وهم سادة الأرض، وأقوى بني الإنسان، وجبابرة العالم في هذا العصر وتلك الحِقبة من تاريخ العرب البائدة. تلك القوة التي لم يقدر أحد من الأقوام أن يجاريهم أو ينازعهم عليها، مهما تكن درجة عظمته .. ولكنهم لم يشكروا ربَّهم على هذه النعم العظيمة، بل أشركوا بالله تمامًا، كما فعل قوم نوح – عليه السلام – من قبل .. فقوم نوح عَبدوا مَن كان قبلهم من رجال صالحين، وهذا ما فعله أولئك القوم، فعبدوا من نجا من الطوفان مع نوح، وكان أشهرهم ثلاثة رجال (صد، صمود، وهرا).

وهنا كان لا بد من إرسال رسول إليهم لكي يُعيدهم إلى طريق الحق من جديد بعدما ضلوا، وتجبَّروا في الأرض بغير الحق.

أراكَ تتبسم الآن، وتستبشر الخير في رحمة ربِّنا – عز وجل – بعباده حتى المشركون منهم. نعم يا صديقي فقد أخذ الله على نفسه العهد بألَّا يُعذب قومًا إلا بعدما يبعث لهم رسولًا منهم، يبلغهم آياته ويُلقنهم رسالته. ولذا أرسل الله لهؤلاء القوم رجلًا منهم، بل أخًا لهم، عاش بينهم، ولم يعهدوا منه غير الصِّدق وحُسن الخُلق .. إنه أول رسولٍ مُرسل برسالةٍ من الله إلى أهل الأرض بعد رحلة الطوفان العظيم.

إنـــه (هود بن شالخ بن أرفحشذ بن سام بن نوح).

هل تلاحظ معي نَسَبَه الشريف؟! فإن أصله يرجع إلى سام ابن نوح – عليه السلام، أي إن من أصل العرب، وهذا يعني أنه أول رسول عربي مُرسل إلى الأرض بعد رحلة الطوفان.

انتظر ...

لا تغلق الصفحات، ربما ستندم، وربما سيفوتك الكثير، فأنا لن أبقى معك طويلًا، ولن أتحمل عناء حِمل هذا الإرث فوق كاهلي كثيرًا .. فقط، أريد أن أُفرِغ كل الحقيقة بين يديك لأتحرَّر منها .. ولأُخلِص نفسي من هذا العهد وهذا الميثاق. أقسم لك أنها تخنقني كل ليلة .. أنام ما يقرب من الأربع ساعات فقط في اليوم، وكثيرًا ما أصرُخ وحدي وأنا نائم، فأنت لا تعلم عن

حِمل الكلمة بين ضلوعك شيئًا. إنه عذاب لو تعلمون عظيم .. أقسم لك أنني لا أحب السرد الطويل، فربما لن تسمع عني بعد اليوم .. فالحقيقة تموت مع صاحبها، وأنا دائمًا ما أرى رحلتي معك على وشك الانتهاء، ولكنني وعَدتُك أنا أجعلك مختلفًا .. أجعلك مُدركًا لحقيقة ما يدور من حولك .. أجعلك تُشاهد الأحداث، وتُراقب المشهد، وأجعل منك خليفتي في الحرب.

نعم يا صديقي .. هذه هي الحقيقة التي ما حملتك إلا لأجلها. فأنا ما حملتك لكي تكون مشاهدًا وفقط، ولكني حملتك بين الأزمان لكي أجعلك تعلم الحقيقة كاملة، فتحمل من بعدي راية التوحيد في الأرض. أنا فقط تحسست ما كنت تتألم منه كثيرًا مثلي، تحسست ما كان يؤلمك وأنت تُشاهد أولئك الملحدين الذين يملؤون شاشات التلفاز ويستعرضون كُفرهم على الملأ باسم حرية الرأي. أيُّ رأي هذا الذي يُهلك صاحبه؟! وأيُّ أعلام هذا الذي يُغيب العقل وينشُر الباطِل؟! إنه إعلام الظلام .. نعم يا صديقي، أُقسم لك أنه هو، إعلام الشيطان في صورته الجديدة. فبالأمس كان يرتدى زي الخادم الذي يستحدث أنواعًا المُتع التي يُصيب بها غايته في إضلالهم، ثم زي الشيخ الورع الذي يُحيي لهم ذكرى موتاهم .. والآن هو يرتدي زِيَّ الإعلامي الحُر الذي ينشر الكَذِّب، ثم ينشره، ثم ينشره، إلى أن ينتشر .. فيعود الإسلام غريبًا مثلما جاء غريبًا.

والآن فلنكمل رحلتنا بعدما أتيت بك من مستنقع الملل السحيق.

انطلق.

دعا هود قومه بما فَتح الله عليه من نعمة الهداية له، والإسلام بوحدانيته فقال:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾

فتعجبوا وقالوا:

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

وسخروا منه وقالوا: من أنت حتى تدعونا لما تدعونا إليه؟ فقال لهم هود عليه السلام:

﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

فاجتمع عليه عِليةُ القوم في سخريةٍ واستنكار وما أشبه اليوم بالبارحة، فبالأمس القريب كان في موضعه نفسه جدهُ نوح عليه السلام. فقالوا لـ هود وهو يجادلهم:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

فرد عليهم هود عليه السلام:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

فقالوا له: عجبًا لك يا هود! وكيف لك أن تكون رسولًا من رب العالمين؟ ولماذا يُرسلك أنت؟ ولم يُرسل لنا مَلَكًا كريمًا؟! فرد عليهم هود عليه السلام قائلًا:

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فردوا عليه في كِبرٍ مبين قائلين له:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، و﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

ثم ضحكوا جميعًا عندما اتهمه بعضهم بأن ما يعانيه من جنونٍ وسفاهةٍ إنما بسبب لعنة أصابته من أحد الآلهة، وعليه أن يعود إليها حتى يُشفى مما هو فيه. فرد عليهم هود عليه السلام في قوة وتحدٍّ لم يعهدوه في أحدٍ من قبل.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

قضى هود عليه السلام زمانًا طويلًا يدعوهم لطريق الحق والعودة والخلاص مما هم فيه، فآمن معه نفرٌ قليلٌ، ثم تتوالى السنون تلو الأخرى،

وهود يدعوهم وهم يستكبرون، إلى أن تتوقف السماء عن المطر، وتجفُّ الأرض وهم أهل زراعة، فيهرول إليهم هود - عليه السلام - يا قومي، ارجعوا إلى الله، ما عاد في الوقت غير القليل، فيهينونه عليه السلام، ويقولون له: إنما نحن كافرون بما تدعونا إليه يا هود، ولا حياة لنا بعد الموت، إنما هي تلك الحياة، ثم نموت لتأكل الأرض أجسادنا، فتدب الروح في أرحام أناس سيخلفوننا من بعد موتنا، إنما هي (أرحام تدفع، وأرض تبلع)، وهذا تمامًا هو معنى الدهرية. هذا المصطلح البائد الذي يستخدمه الملحدون الآن .. فهذا أصله وهذا مفهومه:

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

ولا نريد منك سوى أن تأتينا بما تُعِدُنا به من الهلاك والعقاب الذي نشكُّ في وجوده من الأساس، فمن أكثر منا قوةً وأكثر منا غنًى حتى يقوى على هلاكنا يا هود .. تعجَّب هود - عليه السلام - هو ومن معه من المؤمنين من هذا الإلحاد، وهذا النكران المُبين، فهم من نسل هؤلاء الناجين، كيف لهم أن يفعلوا فَعلتهم هذه، ولكن هذا ما حدث، وهذا ما فعلوه، ثم استعجلوا عذابهم في كل مرة كان يدعوهم فيها هود إلى التوحيد، فكان فيهم من الشدة والغِلظة ما لم يكن في غيرهم من الأمم.. فهم لم يطلبوا منه آية كغيرهم من الأمم لتصديقهم له، بل قطعوا له كل السُّبل، وجميع طرق الدعوة للتوحيد، فكان جوابهم الوحيد:

﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

عَلم هود – عليه السلام – أنه لا نجاة لهؤلاء القوم، فرفع هود – عليه السلام – يده إلى السماء ودعا ربَّه:

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

توقَّفت السماء عن المطر والأرض عن الزرع شهورًا تلو شهور، وسنة تلو الأخرى، إلى أن بارت الزراعات، وأجدبت البساتين الغنَّاء، فصارت قاحلة صفراء، وضاق الناس من هذا الجفاف الذي لم يألفوه من قبل. فهذا عامهم الثالث الذي لم تمطر فيه السماءُ ولو قطرة واحدة تروي ظمأهم، وتُنبت غرسهم؛ فقرروا أن يُرسلوا وفدًا منهم لكي يستسقوا لهم، وفدًا مكوَّنًا من سبعين رجلًا من خِيرتهم. ولكن إلى أين سيذهبون لطلب السُّقيا؟ نعم، إلى مكة المكرمة، إلى بيت الله الحرام.

لا تضحك يا صديقي، فالمشرك ولو أشرك، ففطرتُه تدُلُّه، ونفسه عندما تشعر باقتراب العِقاب تلهث وراء العفو .. فهذا هو حال المشركين على مَرِّ العصور.

ذَهَبَ القومُ وعلى رأسهم رجل يُدعى (قَيلُ بن عِتر) إلى مكة، وهناك استقبلهم (معاوية بن بكر)، فضيَّفهم في أرضه ثلاثين يومًا حتى ضاق بهم ذرعًا. فكتب فيهم شعرًا وقال:

لعل الله يمنحنا غماما

فيسقي أرض عاد إن عادًا قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم أياما
وإن الوحش يأتيهم جهارًا ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم تماما
فقبَّح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

هنا تذكَّر الوفد أنهم ما جاؤوا للإقامة، بل لطلب السُّقيا، فنهضوا من يومهم إلى البيت الحرام لطلب الماء، فاصطفوا جميعًا يتقدمهم (قَيلُ بن عِتر) طالبين المطر لأهلهم من قوم عاد.

استجاب الله لطلبهم، وأرسل إليهم ثلاث سحابات (بيضاء، وحمراء، وسوداء).

أرى ملامحك قد اضطربت كثيرًا، وتخشى أن ينالك ما سينال القوم من العِقاب أو نهلك معهم ونحن فوق أعالي العماد، فلا تخف يا صديقي، فقَبل دخول السحابة سأحملك معي لنستمع إلى قصة تلك المرأة الناجية الوحيدة من قوم عاد، والآن فلنُكمل.

سَمِعَ الوفد مناديًا من السماء يأمرهم أن يختاروا سحابة من السحابات الثلاث، فإذا بهم يختارون السحابة السوداء؛ لأنها أكثر السُّحب ماء. هنا علم هود – عليه السلام – أنه لا بد له أن يجمع المؤمنين؛ لكي ينجوا مما هو قادمٌ من هلاكٍ، فدعاهم إلى الخروج. وحملت الرياح السُّحب السوداء تجاه قوم عاد.

***

الآن الآن ..

اهبط معي إلى الأرض، فلا مجال للتحليق في السماء .. سنتبع طريق هذه المرأة التي تُهرول للخروج من هذه الأرض .. فلو بقينا لحظاتٍ فسنموت معهم.

هياااااا

رأى القوم هذه الغيمة، فاستبشروا، وقالوا: هذا عارض ممطرنا، ولكن كان لله – عز وجل – قول آخر فقال:

﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾.

توقف الآن .. إنها هناك.

وإذا بامرأة تُدعى (مَهدُ)، رأت الغيمة وهي قادمة عليهم، فشعرت بأن هذه السُّحب ليست كغيرها، فأمعنت النظر فيما هو قادم من بعيد، فرأت الشُّهب والشَّرر يتطاير منها. فهرولت لتكون الناجية الوحيدة من قوم عاد،

وكأن الله يريد أن تنجو هذه المرأة لتُخبر عنهم. خرجت مَهد من أرض عاد، كأن هناك مَن يلاحقها، فدخلت على قوم مجاورين لهم وهي تبكي وتنتحب، وتخبرهم أنها رأت النار بأمِّ عينيها، وهي تتطاير من الغيمة القادمة على قوم عاد، وهنا سقطت (مَهد) من فورها صريعة .. ماتت بعدما أخبرت عنهم، ولكي يعلموا أن وعد الله حق، وأن عذاب الله شديد.

ولكن تعالَ معي يا صديقي؛ لكي نُلقي نظرةً على ما حدث في عاد، فلا داعي للوجود بجوار جثة هذه المرأة الآن.

هل سندخل عليهم القرية؟!

بالطبع لا.

ولكن سنُشاهد من خلال هذه العدسات الرقمية.

سنصعد الآن فوق هذا الجبل، ونثبِّت عليه هذه الكاميرا الذكية ونُشاهد ما يحدث. فقط حاول أن تجعل زوم الكاميرا مرتفِعًا شيئًا ما حتى نستطيع أن نرى أكبر قدرٍ من الأحداث.

انـظُـر ..

فقد دَمَّرت الريح كل شيء في المدينة، وجعلته رميمًا، ولم يبقَ إلا بيوتُهم ومساكنهم ذات الأعمدة المرتفعة لتكون شاهدة عليهم. كانت الريح ترفع أفراد القوم العمالقة الأشداء في السماء فتتباعد أياديهم وأرجلهم ثم ترميهم على الأرض كأصول النخل بلا أعناق.

أي عذابٍ؟ وأي إذلال هذا لهؤلاء القوم؟ لا تحزن عليهم يا صديقي، فهؤلاء القوم قد حاربوا وحدانية الله في الربوبية .. فكان الجزاء من جنس العمل.

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

هاجر المؤمنون الناجون من قوم عاد مع هود – عليه السلام – تجاه مكة المكرمة، وعاشوا فيها فترة من الزمن، وبين ظهرانيهم هود – عليه السلام – يُدبر لهم أمرَهم، ويحثُّهم على عدم الاستهانة بما أمرهم الله من حُسن العبادة، والطاعة، والإيمان به وبوحدانيته سبحانه، إلى أن مات هود عليه السلام. وخلفه الجيل الذي نجا من الريح، فانتشروا في الأرض ما بين مهاجرٍ ومسافرٍ ومتاجرٍ ومُقيم .. جيلًا بعد جيل، وعقدًا بعد عقد، وقرنًا تلو الآخر، وهم يتناقلون جينات قوم عاد من القوة والغِلظة والشدة والجبروت، فجابوا الأرض، وطافوا بها، إلى أن استقروا في منطقةٍ جبليةٍ وعرةٍ تقع شمال شرق الجزيرة العربية، بالتحديد منطقة الحِجر بوادي القُرى بين المدينة المنورة وتبوك. هنا عاش قوم (ثمود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾.

تمامًا كأننا ما زلنا في أرض نوح عليه السلام. فالكفر مِلَّةٌ واحدة لا تتبدل ولا تتغير، ولو اختلفت الأرض، واختلفت مسميات البشر، نجا الموحدون مع نوح حاملين جينات الإيمان والعِظة مما حدث، جيلًا تلو الآخر، والجينات تقلُّ، والشيطان يزأر في نفوسهم بالشرك إلى أن ظهرت عاد، ظهر الجيل الملعون الذي لم يعِ الدرس قط.

وها نحن الآن على أعتاب الدخول إلى الجيل الآخر، الجيل الذي حمل جينات الجبارين والمتكبرين في الأرض. فهل ترى معي تلك السلسلة الجبلية الوعرة الواقعة في تلك الصحراء القاحلة هناك؟ هنا شقُّوا حضارتهم في بطون الجبال، هنا نُحتت أكبر حضارة في تاريخ البشرية. أنت الآن تُحلق فوق سماء الفن بكل ما تحمله الكلمة من معنًى. أنت الآن تُحلق فوق سماء أكبر متحف حضاري للنحاتين في العالم. استعد جيدًا إن كنت من هواة الرسم والنحت والتصوير، فأنت في حضرة الكبار، أنت في حضرة الأباطرة الأوائل.

صالح عليه السلام

لن أطلب منك الصعود معي أو الهبوط .. فالأمر لا يحتاج على السفر الطويل أو الطواف .. فقط سنستدير لليسار قليلًا، ونحن في أماكننا على هذا الجبل الشاهق، ونستخدم هذه الكاميرا الذكية، ونُقرِّب عدسة الزوم حتى نتابع جملة الأحداث.

ولكن كُن مستعدًّا في أي لحظةٍ للانطلاق .. فقط سنجعلها محطة للاستراحة الإجبارية لي ولك.

فالطريق ما زال طويلًا بل طويلًا جدًّا، وبطول عُمر الأرض .. وأنا أُقسم لك أنني تعبت من حملك طوال تلك الفترة البسيطة من عُمر دخولك في عالمي .. ولكنه العهد الذي قطعته على نفسي أن تحمل من بعدي راية التوحيد في الأرض، وتُنير طريق الربوبية لغيرك حاملًا معك شعلة المعرفة لكي يتسلمها جيلًا آخر.

والآن ..

أكشن.

إنـه (صالح بن جابر بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح)

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .. انظر معي إلى هذا التشابه في النسب بينه وبين ثمود .. لا تتعجب يا صديقي، فقد كان صالح - عليه السلام - أخًا لهم بالفعل .. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾.

فهو أخ لهم بالمعنى الحرفي للكلمة، ولم يكن مُرسلًا لهم وحسب.

***

أعطى الله قوم ثمود قوة هائلة جعلتهم يشقون الجبال، ويُفرغون ما في بطونها من صخور لكي ينحتوا مدائنهم بداخلها .. فبداخل بطون الجبال أقاموا حضارتهم العظيمة ومدائنهم العملاقة .. التي تُعرف الآن باسم (مدائن صالح عليه السلام)، والتي ما زالت شاهدةً عليهم إلى الآن.

عاش القوم في حضارةٍ، وقوةٍ، وعزةٍ، ورخاء، فزرعوا الصحراء من حولهم، وحفروا الآبار، وربوا الأنعام، وتاجروا، وهاجروا، وذاع صيتهم بين قبائل العرب، بل تقدموا تقدُّمًا لم يسبقهم إليه قبلهم أحد، في فن النحت والتصوير.

قال تعالى:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وبَعث الله لهم نبيه صالحًا لكي يدعوهم، فقال:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾.

الكلمة نفسها التي يقولها كل نبي في بداية دعوته إلى الله .. الكلمة نفسها لا تتبدل ولا تتغير، كما أن الحق لا يتبدل ولا يتغيَّر مهما تتغير الأحوال، ومهما تزداد الأهوال، ومهما تتغير القرى والمدن، وتتوالَ الأجيال.

فوجئ الكبار من قوم صالح بما يقوله .. إنه يتهم آلهتهم بأنها بلا قيمة، وينهاهم عن عبادتها، ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له. وأحدثت دعوته هزةً كبيرة في القوم .. وكان صالحًا معروفًا فيهم بالحكمة والنقاء والخير، وكان قومه يحترمونه ويُبجلونه ويُقدرونه قبل أن يوحي الله إليه، ويُرسله بالدعوة إليهم، ولكن بعد أن دعاهم صالح إلى التوحيد، وتَرْك ما هُم فيه تبدَّل كل شيء:

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾.

يا للمصيبة التي أصابتنا يا صالح! فقد خيَّبتَ أملنا ورجاءنا فيك .. أتسُبُّ آلهتنا وتأمرنا أن نترك دين الآباء والأجداد؟! ومع هذا يا صالح، فلن نكفر بما جئتَ به ولكنْ .. هناك شرط واحد لنُصَدقك، وهو أن تُخرج لنا من هذه الصخرة ناقة، لكنها ليست أي ناقةٍ يا صالح، بل تكون ناقة

عظيمة الخِلقة، ذات طولٍ فارع وليست مُفردة، بل تكون ناقة عُشراء. هذا هو شرطنا الوحيد يا صالح، وإلى هنا انتهى ما بيننا من حوار حتى تأتينا بالبرهان القاطع، والدليل الساطع على ما تدعونا إليه.

فردَّ عليهم صالح عليه السلام: أإذا فعلت ستؤمنون؟ فقالوا له: نعم سنؤمن بك حقًّا، لا شُبهة لنا بعد ذلك، ولكن اصْدُقْنا نُصدقك، فاعتزلهم صالح – عليه السلام – واختلى بنفسه، ثم دعا ربهُ أن يُثبت لهم صِدق ما يدعوهم إليه حتى يقطع عليهم كل سُبل الكفر والضلال. فاستجاب الله – تعالى – لدعاء نبيه صالح عليه السلام .. فجمعهم ذات يوم، ودعا الصخرة أن تأتي بما فيها، فانشقت الصخرة عن ناقة عظيمة الخلقة، لَم يُرَ مثلها قط .. فقال لهم صالح عليه السلام:

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾.

اشترط عليهم صالح ألَّا يقربوا ماء الآبار والوديان يومًا ويقربوه يومًا بالتبادل مع الناقه، وفي اليوم الذي لن يقربوا فيه الماء سيشربون من لبن تلك الناقة العظيمة كما أمرهم ألا يقربوها بسوء، فَقبلوا ما اشترطه عليهم صالح هذه المرة، وعاشت الناقة بينهم في سلام، إلى أن وضعت ولدها، وبعد كل هذا أسلم مع نبي الله صالح عدد قليلٍ جدًّا من قومه، وكان منهم زوج لسيدة من كبراء قوم ثمود وهي (صَدوف بنت المحيا)، وكانت هذا المرأة

ذات حسبٍ ومالٍ، ففارقت زوجها بعدما أسلم مع صالح عليه السلام واستجاب لدعوته. فذهبت إلى ابن عمِّها (مصدع بن مهرج بن المحيا) وعرضت عليه نفسها مقابل أن يذبح تلك الناقة .. فقَبل مصدع دعوتها، ثم انطلقت.

***

وهناك على مرمى البصر في أطراف المدينة تسكن امرأة عجوز طاعنة في السن، شاردة البال، نحيلة الجُثة، وقد امتلأ وجهها بالتجاعيد حتى صار من العسير أن تُحدِّد لها عمرًا. كانت هذه المرأة كافرةً، وتكره نبي الله صالحًا كُرهًا جَمًّا، فاستدعت في بيتها أشقى بني آدم مُنذ خَلق الله الأرض ومن عليها، وهو (قُدار بن سالف) وعرضت عليه بناتها الأربع مقابل أن يذبح تلك الناقة. فتحالف مصدع بن مهرج مع قدار بن سالف على ذبح الناقة.

ثم تُمر الأيام تلو الأيام، وهُم لا هَم لهم سوى إثارة الناس لكي يقضوا على الناقة إلى أن استجاب لدعوتهم سبعة رجال من قومهم، فصاروا بذلك تسعة رجال ..

قال تعالى:

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾.

سعى هؤلاء الرجال بين القوم بضرورة عَقر تلك الناقة، فطاوعتهم غالبية القوم، واتفقوا معهم على ذبحها جَهارًا. فخرجت النساء من جهة

اليمين، والرجال يتقدمهم مصدع بن مهرج من جه اليسار، فرماها بسهم فأصابها، فسقطت، فتقدَّم أشقى من حملت الأرض كما قال الله (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا)، وهو (قَدار بن سالف) فذبحها الشقيُّ لتسقط الناقة على الأرض مُصدرة صوتًا قويًّا جدًّا، تُحذر فيه ولدها من عدم الاقتراب، ثم ماتت من فورها.. سمع ولدها ذلك الصوت، فعلم أنهم فعلوا فَعلتهم التي نَهاهم عنها صالح عليه السلام. فأسرع بالهرب، وصعد إلى جبل في أطراف المدينة، ثم زأر، ورغا ثلاث مرات قبل أن يلحقوا به هو أيضًا ليقتلوه.

عَلم صالح بما حدث من أمر عقر الناقة، وما كان من أمر ولدها، فخرج عليهم، وقال: لِمَ فعلتم هذا يا قومي؟! ألم أنهكم عن قتلها؟ فأجابوه من فورهم:

﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

فقال لهم نبي الله صالح عليه السلام:

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾.

ثلاثة أيام كانت الفاصل بينهم وبين العذاب .. هنا أخذتهم العزة، والجبروت، وقرروا أن يلحقوا صالح بالناقة، واتفقوا على قتله هو أيضًا.

قال تعالى:

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

هنا ترك صالح عليه السلام تلك الأرض في الليلة نفسها، ومعه من آمن به وبدعوته .. فخرج وراءهُ بعض الرجال يريدون قتلهُ ومن معه، ولكن مكروا، وكان مكرُ الله شديدًا، فأصابهم وابل من الحجارة المُسوَّمة التي رجمتهم جميعًا؛ ليلقوا مصرعهم دون استثناء.

***

أصبح القوم في اليوم الأول من أيام المُهلة الثلاث، وكان يوم الخميس ووجوههم مُصفَّرة، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام النَّظرة وهو يوم الجمعة، ووجوههم مُحمرَّة، ثم أصبحوا في اليوم الثالث والأخير قبل وقوع العذاب وهو يوم السبت ووجوههم مُسودَّة، فلما كانت صبيحة يوم الأحد، وبعد شروق الشمس مباشرةً كانت الصيحة التي أهلكَ اللهُ بها قوم ثمود. فكانت صيحة في السماء، ورجفة في الأرض ولم يكن لها تكرار، بل كانت صيحة واحدة كما قال تعالى:

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

أصبحوا في دارهم أجسادًا لا روح فيها إلا امرأة ورجلًا .. فكانت تلك المرأة قعيدة وهي (كلبة بنت السلق)، ولما حدثت الرجفة انطلقت تلك المرأة تَسعى، وقد شُفيت من مرضها تمامًا، فإذا بها تَسعى بكل ما أوتيت من قوة ناحية حيٍّ من أحياء العرب المجاور لقوم ثمود، وأطلقت صرخاتٍ مُدويةً سمعها القوم، فالتفوا حولها، فقصَّت عليهم ما كان من أمر قومها، وعندما

أفرغت ما أنجاها الله من أجله وهو التبليغ عنهم استسقت القوم، فلما شربت ماتت ولحقت بقومها.

وأما الرجل فكان يُدعى (أبا رغال) وهو رجل من قوم ثمود، كان في بيت الله الحرام عند وقوع العذاب، فمنعه حَرَمُ الله عذابَ الله، لكنهُ لما خرج أصابه ما أصاب قومه، فبقي في مكانه إلى أن واراه الترابُ، ومعه غصن من ذهبٍ، فبقي هذا الغصنُ معه إلى أن مَرَّ النبي محمد – صلوات ربي وسلامه عليه – وهو في رحلته إلى الطائف، فأخبر الصحابة بأمر ذلك الرجل، فبحثوا عن الغصن، فأخرجوه.

هلكت ثمود، ولكن لم تهلك حضارتهم، فظلت إلى اليوم باقيةً تشهد لهم وعليهم. وخرج صالح – عليه السلام – مع البقية الباقية من الناجين من قوم ثمود، ممن آمنوا به، وبرسالته إلى أن توفَّاه اللهُ.

أرض الكلدانيين

قبل أكثر من أربعة آلاف عام .. كانت الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء .. كل شيء كان طاهرًا، شديد النقاء إلى حدِّ اللَّاحَد، وكانت عاصمة الدنيا وقِبلة العلم وبلاد الحضارة والفن والعلم تتأهب للاحتفال.

مرحبًا بك يا صديقي مرة أخرى في بابل، أرض السحر والجمال، فعندما تحتفل بابل فزِدْ على جمالِها ألف جمال، وتمتع معي بهذا العُرس البهيج، فأنت في احتفالية لم تشهدْها الأرض من قبل، ولم تسمع عنها الدنيا من بعيدٍ أو من قريب. ولكن اعلم أولًا طبيعة بابل الخلابة في ذلك الزمان، فالجبال الخضراء والسهول الصافية تتداخل في منظر هو الأروع على الإطلاق مع القصور البابلية الفاخرة، والرسومات المُبهرة التي تملأ الجدران، وتُزين الطرقات، واستنشقْ معي أوراق الزعفران والياسمين والورود التي تملأ شوارع بابل، التي يرميها الخدم والعسكر في كل مكانٍ، وفي كل الطرقات المؤدية إلى قصر الملك (كنعان بن كوش).

الجميع تراهُم الآن قد تَركوا أعمالهم وبيوتهم، ونزلوا لكي يباركوا الملكهم قُدومَ وليِّ عهدِه الذي انتظر قدومه سنوات طوال.

إنه هناك يستقبل ضيوفه الذين قَدموا إلى أرضه من كل مكان. وما دامت هي احتفالية فسنرتدي أنا وأنت هذا الزِّي الفاخر الذي يملأ شوارع المدينة، ويُوزِّعه الخدم في الطرقات والحانات، وسندخل معهم للاحتفال.

ولكن علم .. ففي حياتِنا مناطق يجب أن تبقى في الظلام، والويل كل الويل لمن يُسلِّط عليها الأضواء بيديه، لكننا تعاهدنا على السير معًا مهما تكن الأهوال والصِّعاب .. فإذا دخلت معي فلا مجال للتراجُع مهما تكن الأسباب، ومهما تكن مبررات الانسحاب، فإذا رآنا فسيعرفنا وسيلاحقُنا في اليقظة قبل الحلم .. أقسم لك أنك ستراه بأمِّ عينيك .. سترى الشيطان بداخل هذا القصر يحتفل دون أي مبالغةٍ مني في الكلام .. فأنا أعني المعنى الحرفي للكلمة فـ(الشيطان ينتظرك بالداخل).

***

هناك على جانب القصر نِساء ينثرن أوراق الزعفران، ويفرِشن الودع الأزرق في طُرقات القصر منعًا وطردًا للأرواح الشريرة ومعهن بعض الشياطين يعملون معهن وهم يضحكون ويلوون رؤوسهم كأنهم ثعابين تتأهب للرقص على جثث موتاهم .. وهناك الطفل الذي على شرفه أُقيمت تلك الاحتفالية المهيبة، إنه هناك راقدًا في ذلك الهودج المُطرز بالذهب

والياقوت واللؤلؤ وبعض الأحجار الزرقاء يبتسم لك .. إنه الجمال والفتنة والنقاء مُجسدًا في صورة طفل صغير، ومن حوله الكثير من الخدم الذين يهتمون به، وبأمِّه الملكة المعظَّمة (أوداج). وهناك في وسط القصر وقف إبليس في صورة شخص مُتملق يُعظم ويفخم من قوة الملك كنعان بن كوش وحكمته وسطوته، ثم خطب في الناس وقال:

(أيها السادة الأشراف .. الأمس قد انتهى وزال، واليوم نحتفل بالمولود الجدي للملك كنعان العظيم، المولود الذي ستتغير على يديه موازين الظهور والاختفاء، المولود الذي سنُصاحبه في الخفاء والعلن .. سنراه ويرانا ولأجله سنخوض حروبًا عِظامًا، حروب الوجود في الأرض .. سنُطفئ معًا كل مشاعل النور حتى تَطول عصور الظلام .. رحِّبوا معي بسيدكم وابن سيدكم، رحِّبوا معي بـــ زاهاك العظيم).

صفَّق الجميع في سعادةٍ عارمةٍ، وبدأت الجاريات يرمين الورود والزهور والهدايا من شُرفات القصر، فبدأ الجميع يتدافعون للحصول على هدايا الاحتفال، وبدأت الشياطين تتراقص في صورة جوارٍ حِسان، فلم يهتم أحد باسم سيدهم الجديد الذي اختاره له ذلك الرجل الآن، ولا بعصور الظلام التي سيغرقون فيها عن قريب، ولكن العجيب أن هذا الاسم كان له معنى غريب في اللغة البابلية القديمة، فكان يعني الثعبان اللاسع .. وكأن إبليس قد اختار له اسم معاونه العظيم الثعبان اللاسع حتى يكون له نصيب من اسمه .. مثلما سنرى.

كانت هذه هي البداية فَحسب.

ما هذا الدُّوار الذي أَلَم بِنا وبالقصر؟ ماذا يحدث هنا بالضبط؟ أي طفل ملعون هذا الذي تحتفل بقدومه الشياطين؟ إن قلبي يكاد يخرج من بين ضلوعي .. الأحداث تتغير، ووجوه الناس ما زالت لم تتغير .. ليتني لم أُطاوِعْكَ أو أدخل معك إلى هذه الأرض من الأساس.

تراتيل، تسبيحات، فحيح، عُري، ضحكات، صرخات، دوار، طواف، إغماء، سقوط، ثم..

مئة عام بعد ولادة النمرود، أقصد زاهاك العظيم.

***

تراه هناك في هذا المسبح العظيم تلُفُّهُ من هنا وهناك الحِسان من النساء العاريات على الدوام، واللواتي لم يخلُ القصر قط من وجودِهنَّ يومًا. ولكنه يترك كل هذا ويتجه إلى ذلك الممر الضيق أسفل القصر العظيم. تراهُ يمد الخُطى، ويُسرع في السير، كأنه على عجلةٍ من أمره، أو كأن هناك شخصية مهمة تنتظره بالداخل. فمن عساه سيقابل هناك؟ هذا ما سنراه.

الآن سنهبط أنا وأنت وراءه؛ لكي نرى ماذا يفعل هذا الملعون في الخفاء.

انظر .. انظر.

هل تراه؟

نعم .. فنحن نتبعه يا رجل!

لا .. ليس زاهاك.

بل هذا الذي يجلس فوق النار، وتلفُّه الثعابين من كل اتجاه، ذلك العجوز الهَرِم الذي يتمدد هناك على أريكته النورانية .. ومن حوله اصطفت مخلوقات لا صفة لها غير القبح والشذوذ، بعضهم يغطيه الشعر، وبعضهم أصلع تمامًا .. بعضهم عمالقة بالغو الطول، والبعض الآخَر أقزام مشوهون تمامًا ..

بدأت الآمور تتضح لي ببطء إلى أن رأيته ..

أنه هو.. هو..

إنه إبليس..

جبل دنباوند

الفحيح يملأ الجبل، ورؤوس الثعابين تخرج من كل مكان، وهناك في قمة الجبل يجلس فوق عرش عظيم، ومن حوله ثعبانان عظيمان يحملان فوق رأسيهما نارًا عظيمة، ويخرجان من أفواههما ألسنة تطوق الجبل من جميع الجهات.

رُفع النمرود إلى سفح الجبل، فانطفأت النيران، واختفى الثعبانان، وهبط العرش العظيم، وإذا بكيان لا يُرى وجهُه من ظهره من طول شعره الذي قد لامس الأرض وافترش المكان، وسمع النمرود صوتًا يُشبه صوت الفحيح يقول:

اقترب مني يا رفيقي .. اقترب .. فلقد اخترتُك أنت من بين آلاف البشر، اخترتُك أنت من بين رجال الأرض جميعًا، اخترتُك أنت؛ لكي تُحكم قبضتك على بني الإنسان، اخترتُك لكي تكون أول بشري يتعلَّم سر الماجي، الماجي

العظيم الذي سيطوي لك الدنيا، وسيُخضع لك نفوس البشر، اخترتُك أنت لا غيرك، وحدك أنت يا زاهاك من سيراني، ويسمعُني، ويعرفُني .. أسماء عِدة عُرفت بها على مَر الزمان .. فالبعض أسماني ''إبليس'' .. وهذا لأنني أبلستُ، أي: يئستُ من رحمة ربي، والبعض أسماني ''بعلزبوب''، أي: رب الذباب، وهذا لأنني في أول عهدي لم يتبعني غير المخلوقات الدنيئة، ثم أسموني ''سيتان'' الذي تطور بفعل الزمن إلى ''شيطان'' .. ولكن عليك أن تراني دون خوف، وتخضع لي وحدي دون غيري، وتأتمر بأمري وتنتهي عمَّا أنهاك عنه .. أنت حليفي، وأنا سأُعطيك ما لم يُعطَ ملِك قبلك .. فهل ستُطيع يا زاهاك أم تُراك ستخشى رؤيتي؟ .

قَبِل زاهاك التحالف مع إبليس، فكشف إبليس اللعين عن وجهه الحقيقي، فرأى النمرود إبليس في صورته الحقيقية .. رأى لَعينَ الأرضِ، مَلعونَ السماء، وكان هذا أول تحالف يحدث بين الإنسان والشيطان على وجه الأرض.

بعد تلك الحادثة دَبر النمرود بصحبة حليفه الجديد حادثة اغتيال لأبيه الملك كنعان ابن كوش لكي يستولي على العرش، وكانت هذه أول حادثة اغتيال في التاريخ .. وبعد حادثة الاغتيال مباشرةً توجَّه زاهاك إلى قصر الحُكم، ثم صعد إلى العرش، ومعه معاونه وحليفه الجديد الذي رأهُ يقترب منه، ثم همس في أُذنه بالفحيح قائلًا:

(نحن ملوك الدنيا .. المالكون لما فيها)، فتبسم النمرود لمَّا سمع كلماته، وعَلم مقصده.

***

كانت المملكة الآشورية في ذلك الزمان مُنقسمة إلى سبع ممالك، ولكن بعد مجيء النمرود إلى الحكم، خاض الحروب من أجل ضمِّها؛ لكي تكون تحت سيطرته، وقد كان .. وصار النمرود ملك ملوك الأقاليم السبعة.

كان الناس في ذلك العصر منقسمين في عباداتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد النمرود نفسه، ومنهم من يعبد الكواكب والنجوم، وهؤلاء كانوا يُمثِّلون الجيل الجديد الذي خرج عن إطار الموروث بعض الشيء، فقد اختلفوا في العبادات، ولكنهم اشتركوا في الضلال، ولذلك كان لا بد من وجود رسول ليس فقط مُبلغًا برسالة التوحيد، بل مُقيمًا للحجة، والمنطق الفكري، واستعمال العقل في التدبر، واكتشاف الخالق الأوحد.

إنـــــه ..

إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو أول من استعمل العقل في استكشاف الحق، ومعرفة الخالق الأول في الكون. عاش (إبراهيم بن آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح) في حاله من التشكيك والتخبط في معتقدات أولئك القوم ما بين عباداتهم المختلفة، وتوجهاتهم المتشعبة، فعاتب إبراهيم أباه وقومه على عبادة تلك الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ثم خرج عليه السلام ليلًا باحثًا عن الحق، وطامعًا في هداية الله له، فخرج موليًا وجهه إلى الظواهر الطبيعية في الكون:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

ظَلَّ إبراهيم – عليه السلام – هكذا حتى بزغت شمس الحق أمامه فقال:

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

تبرَّأ إبراهيم – عليه السلام – أمام الجميع من أوثانهم وعباداتهم ومعتقداتهم وموروثاتهم في العلن، وقد كان ما زال شابًّا في مقتبل عمره:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾.

كَفَرَ إبراهيم بكل دينٍ يخالف دين الفطرة السَّوية، والمنطق، والعقل، والدليل، والبرهان، فوجَّه وجهه لمن خلق كل شيء، الخالق الأول الذي لم يُخلَق، الباقي الذي ليس له زوال، الواحد الذي لا يُشرَك في عبادته ثانٍ، ثم وجَّه وجهه إلى الواحد الدَّيان وقال:

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

علم الناس بأمر إبراهيم – عليه السلام – فكذَّبوه وصدَّقه اثنان هما (لوط ابن هاران وزوجته سارة).

نَزَلَ أمين وحي السماء حاملًا رسالة التكليف على الخليل إبراهيم عليه السلام، فخرج فيهم داعيًا وقال:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾.

فردَّ عليه قومه قائلين:

﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾.

فردَّ عليهم فقال:

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

فاستشاطوا غضبًا فردُّوا:

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾.

فأقام عليهم الدليل فقال:

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

كذَّبه قومه، ولم يسمعوا لِما يقول، واستمروا في تقديم الطعام للآلهة، وتقديم العطايا والهدايا لها، فصرخ فيهم إبراهيم بعدما فاض بهم ذرعًا، وبعدما نفروا منه كُرهًا فيما يدعوهم إليه، وطغيانًا من عند أنفسهم، وتكبرًا في الأرض بغير الحق، وخوفًا من البطش والعقاب من أولئك الطغاة الذين

لا يخلو منهم مكان ولا زمان ما دامت السماوات والأرض .. فاستشاط إبراهيم – عليه السلام – غضبًا من أولئك الطغاة، فقال في نفسه:

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

أقسمَ إبراهيم – عليه السلام – أنه لن يترُك هذه الأصنام تُعبد من غير الله في الأرض، وكيف لا وهو الخليل المُصطفى، والوريث الشرعي لحمل راية التوحيد بعد رحلة الطوفان العظيم التي ضربت الأرض؟ فمن نسله سيأتي الأنبياء، وعلى يديه ستُهدم حضارة الظلام، وسيبكي الشيطان كما لو أنه لم يبكِ من قبل .. إنه النبيُّ الذي أخبرت عن مولده الشياطين، فأمر النمرود أن تُقتل كل المواليد حتى يستريح من تلك الكوابيس التي أصبحت تُراوده في صحواته ومنامه .. ولكن أمُّ الخليل إبراهيم قد أخفته عن الأنظار مثلما أخفت نفسها حتى لا ينكشف أمْرُ حِملِها به حتى بلغ من العمر مبلغهُ.

وذات يوم يدخل آزر على الخليل إبراهيم يدعوه للذهاب معه إلى الاحتفال بيوم عيدهم (عيد الربيع) للاحتفال. فكما أخبرتُك من قبل:

(عندما تحتفل بابل .. فزد على جمالها ألف جمال).

فيَدَّعي إبراهيم عليه السلام أنه سقيم، ولا يستطيع أن يذهب معه للاحتفال، فتركه أبوه ثم انطلق.

خرج إبراهيم عليه السلام مستخفيًا متجهًا ناحية معابدهم التي يعبدون فيها هذه الآلهة المصنوعة، ومعه فأسه فوجدها في بهوٍ عظيم .. موضوعًا لها

أجود أنواع الطعام بين أيديها؛ لأنهم ربما سيتأخرون في الاحتفال .. فتبسَّم الخليل – عليه السلام – في سخريةٍ من هذه الآلهة التي ربما ستجوع فتأكل، ثم قال لهم:

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

رجع القوم فوجدوا ما حدث لآلهتهم من دمار شديد، وذُلٍّ مُهين، فنظروا إلى بعضهم البعض مُعاتبين أنفسهم على تَرْكِ الآلهة منفردة، وإذا بجماعة منهم يقولون:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

فأجمعوا أمرهم في التوِّ على عِقاب إبراهيم والتنكيل به أمام العالمين:

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أرسلوا شِرارهم، فأتوا بالخليل إبراهيم على عيون الأشهاد، فقالوا:

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

فنظر القوم إلى كبيرهم الذي لا يُبالي، ولا يستطيع النطق، ولا الحراك، فما هو إلا قطعة من الحجارة الملقاة، فردوا عليه في حيرة قائلين:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾.

فردَّ عليهم فقال:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

غَلَبَهم إبراهيم بالمنطق والحوار في بضع كلمات، فما كان أمامهم سوى استخدام البطش والقوة والعذاب، فهذا هو حال المجرمين دائمًا عندما تفترسهم العقول الرشيدة وتبتلعهم الفطرات النقية .. كل هذا وإبليس يتابع المشهد، ويُحرك الأحداث، فهو يعلم جيدًا ما هو مُقبل عليه على يد إبراهيم، فيذهب ناحية اليسار فيهمس لهم أن يقولوا:

﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

ثم يُحلق فوقهم من ناحية اليمين ويعرض لهم الفكرة رأي العين:

﴿ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾.

إلى أن استقروا على العقاب الذي سيشفي ما في صدورهم من غضبٍ، وهو حَرْقُ الخليل إبراهيم في النار.

عَمد القوم إلى أرض واسعة، وبدؤوا في جلب الأخشاب والحطب، وما يمكن أن يساعد على حرق الخليل إبراهيم، واستمروا على هذا الأمر قرابة الشهر، حتى أن المرأة كانت إذا مرضت تقيم النذر على نفسها إنها إذا تعافت مما هي فيه فستحمل من أقصى المدينة ما يُساعد على حرق إبراهيم.

***

ظَلَّ الأمر هكذا إلى أن شيَّدوا محرقةً هائلةً، فساووها حتى يروا الخليل وهو تُضرم فيه النار، فتشفي النار ما في صدورهم من نقمةٍ عليه، وعلى ما اقترفه في حق الآلهة المكلومة .. كل هذا على مرأى ومسمع من النمرود.

صدر الأمر بإضرام النار في الحطام والخشب المُهيَّأ للحرق، إلى أن توهَّجت وارتفعت، حتى رآها من هو في أقصى المدينة، فلم يقدر أحد على الاقتراب منها لكي يُلقى فيها الخليل إبراهيم، فكانت هذه عقبة أمامهم. فكان دور الشيطان في ذلك عظيماً .. فإذا برجل يُدعى (هيزن) من أكراد العراق الذين كانوا يعيشون في أطراف المدينة، إذا به يأتي إليهم حاملًا على كتفه كِفَّةً عظيمة من المنجنيق تلفُّها أحبال شديدة القسوة، موضوعًا في آخرها فتيل طويل لأجل إشعال النيران فيه، فتنطلق الكفة لتسقط في منتصف المحرقة .. فإذا بالجموع تفترق لكي يعبر الشيطان، أقصد هيزن من بينهم، ثم يضع كفة المنجنيق على الأرض، فيتكالب الناس على الخليل إبراهيم فيحملونه عليها وهو يردد:

(حسبُنا الله ونعم الوكيل) ثم يشدون وثاقه فيها .. يأمر هيزن الناس أن تبتعد قليلًا عن مكان الإطلاق، ثم يأتي بشعلة نار من جذع شجرة موقدة، فيضرم النار في الفتيل، فتنطلق قذيفة المنجنيق حاملة معها الكفة المثبت عليها الخليل – إبراهيم عليه السلام – في السماء ناحية المحرقة، وإذا بـــ هيزن تُخسف به الأرض فتبتلعه ليُعذب فيها إلى قيام الساعة.

﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

عَلت كِفَّة المنجنيق حاملة معها الخليل إبراهيم – عليه السلام – ناحية المحرقة العظيمة التي أقامها له قومه عِقابًا وعذابًا لما اقترفه في حق آلهتهم، ولكن ليس الأمر هكذا يا صديقي، فإن الخزي لا يعرف طريق الصالحين، مهما تتكالب عليهم أراذل القوم وأعلاهم، فهناك جبريل ومعه ملك المطر يطلب من إبراهيم أن يدعو ربَّه حتى يُنزل المطر لتخمد النار، فيأبى الخليل حياء من الله أن يطلب. فيقول له جبريل عليه السلام: يا إبراهيم، يا خليل الرحمن، ألك حاجة فأقضيها لك إن شئتَ؟ فيرد الخليل إبراهيم في ثقة هي دائمًا حال الذين هم مع الله:

(أما إليك فلا، فإن معي ربى سيكفينِ).

فالخليل يعلم تمام العلم، إنما النار ما هي إلا جند من جنود الرحمن، ثم يسقط الخليل إبراهيم في النار، فما يُصيبه منها غير حَرِّها، ولم تأكل النار منه سوى تلك الأحبال التي رَبَطَها قومُه حتى يستقيم على كفَّة المنجنيق .. لتتحول النار بأمر ربِّها إلى جنةٍ يراها كل مَن حضر مشهد حرق إبراهيم الخليل، وإذا بآزر أبي الخليل إبراهيم يقول في مشهدٍ طالما حفلت به كتب المؤرخين: (نِعم الربّ ربُّك يا إبراهيم).

سقط الخليل إبراهيم في النار أمام أعين الجميع، ومن بينهم لوط، وزوجته سارة، وأمُّه وأبوه، وقومُه جميعًا. وإذا به عن يمينه وشماله خُضرة وثِمار، كأنها

روضة يسير فيها إبراهيم داعيًا ربه مسيرة أربعين يومًا هي عمر مكوثه في النار .. قال فيها عندما سُئل عنها:

(ما أطيب عيشي حين كنت فيها!) كل هذا والقوم يتبادلون أدوارهم يومًا بعد يوم، ويتساءلون في حيرة، لماذا لا تأكل النار إبراهيم؟! أيُّ قوةٍ هذه التي تُبطل عمل النار؟! إنه يتنعم في النار، ونحن لا نستطيع أن نقترب منها من شدة حَرِّها!

قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾.

خَمدت النار التي جمعوا لها شهرًا، وأشعلوها ما زاد عن ٤٠ يومًا، وخرج الخليل منها، ولم يمسسه منها، ولا من حَرِّها مثقال ذرةٍ من خردل، فاستشاط النمرود، ذُعرًا وفزعًا، وعلم تمام العلم أن كوابيس الأمس قد صارت واقعًا مريرًا سيحياهُ من الآن فصاعدًا، فجمع مستشاريه لكي يشاورهم في أمر إبراهيم، فأشاروا عليه بالمناظرة.

دخل إبراهيم على النمرود في مشهدٍ مهيب، جمع فيه النمرود من معاونيه الكثير، غير واحدٍ خشي على نفسه أن يرى نهايته من جديد، خشيَ على نفسه أن يُشاهد بداية نهاية حليفه في الأرض .. ٤٠٠ عام من الظلم قد وَلَّت، وعليه فإن بداية ٤٠٠ عامٍ من العذاب قادمة.

***

سأل النمرود إبراهيم:

مَن ربك؟

فأجاب إبراهيم:

ربي الله الذي يحيي ويميت.

فرد النمرود:

وأيضًا أنا أُحيي وأُميت، فأنا في يدي أن أقتل هذا، وأترُك ذاك يحيا في سلام. أليس هذا في يدي يا إبراهيم؟

فقال إبراهيم:

فَربي يأتي بالشمس من المشرق، هلَّا قد جئتنا بها من المغرب حتى نؤمن؟

فَبُهت النمرود، ولم يستطع نُطقًا .. فأنهى المناظرة من فورِه، وأمرهم بأن يتركوه وحيدًا في خلوته.

انفرد النمرود بذاته، وقرَّر أن يذهب إلى هناك، إلى حيث كانت بدايته، إلى جبل دنباوند، حيث مغارة الشيطان حليفه في غيابات التمرد .. فإن كان الشيطان قد عصى أمْرَ ربِّه في أن يسجُد لبشر، فالنمرود قد قال لهم: أنا ربكم الأعلى، بل قرَّر أن يبني له صرحًا مهيبًا مُكوَّنًا من ٨ أبراج فوق بعضها البعض، قاعدتها الرئيسية قد تجاوزت ٩٢ مترًا، ملفوفًا بسلالم خشبية، قد

بناها في وسط المحراب العظيم للهيكل الأكبر، ويرتفع فوق هذه القاعدة برج آخر، ويرتفع على هذا الأخير برج آخر حتى يصل العدد إلى ثمانية أبراج، وقد بُني الدرج الذي يرقى إليه من الخارج بشكل لولبي يحيط بكل الأبراج، وتجد في وسطه محطة ومقاعد للاستراحة يجلس عليها الذين يرتقونه ليستريحوا، سُمي هذا البرج بـــ (صرح بابل العظيم).

***

دخل النمرود إلى تلك المغارة التي تعلَّم فيها سر الماجي العظيم وقابله، قابل حليفهُ، قابله مرة أخرى، ولكنها كانت مغايرة تمامًا عمَّا سبقتها، فهو اليوم غاضب ساخط على مَنْ وعده بالقوة، القوة التي جعلت منه إلاهًا يرتعد منه البشر جميعًا عند ذكر اسمه، وتتحارب قبائل بأكملها من الجن لكي تكسب قُربه ورِضاه.

ولكن ...

يأتي إبراهيم ليكشف حقيقته، يأتي إبراهيم ليقول له ولشياطينه ولجُنده ولقبائل الجن التي هي معه: إنكم فناء في فناء، وأنكم ليس لكم من أمركم شيء، وأن ما تدعونه هو باطل، وأنكم كاذبون، مُدعون نهايتكم واحدة.

آمَنَ مع إبراهيم نفرٌ قليل من المستضعفين في مملكة النمرود برغم كل ما حدث أمام أعينهم، خوفًا من بطش النمرود وقتله لهم ولأطفالهم، وقرَّر

النمرود أن يقتلع بذرة الإيمان من جذورها قبل أن تُثمر في قلوب الخلق، ويكثر أتباع الخليل إبراهيم، فقرَّر أن يحاربهم جميعًا.

أرسل الله – تعالى – إلى النمرود ثلاثة من الملائكة، فكذَّبهم جميعًا، وكان آخرَهم ملكٌ يُدعى (كاوي)، دخل كاوي إلى قصر النمرود في هيئة رجلٍ يمتهن مهنة الحدادة، فلم يُبالِ به النمرود، ولم يُعطِه بالًا، إلى أن سمعه النمرود وهو يُغمغم بذكر الله، فاستشاط النمرود غضبًا وقال له:

أيُّ إله هذا الذي تذكره في حضرتي يا هذا؟!

فرَّد عليه كاوي أنه الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، ربي وربك ورب العالمين .. فاستشاط النمرود غضبًا مما يقوله ذلك العامل الفقير، وقال له:

نهايتكم قد حانت، ولحظة رحيلكم قد أوشكت، وقد فاض كيلي، ونفد صبري مما تَدعون من دوني .. وبعزتي لن أبْقي لكم من أحد بعد اليوم .. فاذهب واجمعْ جمعك، ثم ائتني بهم على بصيرة من العباد وسترى ماذا أنا فاعل بك وبربك .. وأمر النمرود جُنده أن يقرعوا طبول الحرب للمرة الأولى في التاريخ .. فرد عليه كاوي قائلًا: بل اجمعْ أنت جموعك وسترى كيف ستكون النهاية.

***

ثلاثة أيام كانت كافية للجمع، وفي صبيحة اليوم الرابع، ووقت طلوع الشمس مباشرةً سار النمرود بجُنده للحرب، وإذا بالشمس قد غابت،

فهناك على مرمى البصر جنود ربك آتية، لم يُرسل الله – عز وجل – ملائكته ولا عبادًا له أُولي قوة، بل أرسلَ أضعف جنده وأصغرهم .. أرسل له جيشًا من الذباب، فلا يعلم جنود ربك إلا هو .. فأباد الذباب كل جيوش النمرود، بل أكلها جميعها، وشرب دماءهم، وتركهم عظامًا بالية، وأراد ربك أن يجعل منه عبرةً؛ ليكون لمن بعده آية، فإذا بذبابةٍ تدخل في أنف النمرود لتمكث فيها فترة تجاوزت ال٤٠٠ عام، عاش فيها النمرود ذليلًا مُهانًا، فكان لا يهدأ من صراخه المتواصل إلا عندما يضربه أحدُ جنوده بالحذاء على رأسه ووجهه.

إنها قُدرة ربك التي تجاوزت كل حدود المعقول، وقوته التي فاقت كل عتبات المستحيل.

ظَلَّ النمرود على هذا الحال من الخزي والعار إلى أن مات ذليلًا مُهانًا عن عمر قد تجاوز ال ٨٠٠ عام، تجبَّر فيها، وتكبَّر، وتحالَف مع الشيطان، وأباد القُرى والمُدن، وقتل الأطفَال والشيوخ والنساء، وأعلن نفسه فيها إلاهًا يَسوق مقدرات البلاد والعباد.

في هذه الأثناء هاجَرَ الخليل إبراهيم ومعه زوجته سارة إلى بيت المقدس، ثم إلى اليمن، ومنها إلى مصر، بينما هاجر لوط عليه السلام، وكان ما زال شابًّا صغيرًا إلى الشام، ثم استقرَّ به الحال في قرية تسمى سَدوم.

أسمعُك الآن تتساءل: هل كان هناك بيت من الأساس حتى يُسمى ببيت المقدس؟!

نعم يا صديقي، كان هناك بيت لله يُسمى (بيت المقدس)، فهل ما زلت تذكر معي حج آدم للبيت الحرام وطوافه بالكعبة؟

فقد بنت الملائكة البيت الحرام بمكة، وبعد أربعين عامًا فقط بَنت المسجد الأقصى بالأرض المقدسة بفلسطين، أي قبل خَلْق سُليمان بآلاف السنين. وكان بين إبراهيم وبعثة سُليمان ما يقارب الألف عامٍ.

أي إن وجود المسجد الأقصى يرجع تاريخه لزمن بناء المسجد الحرام، وليس لزمن سُليمان كما يدَّعي البعض.

فاحذر يا صديقي منهم ..

من أولئك المنتسبين إليك ..

من أولئك المبدعين في العُهر ..

من أولئك الذين يملؤون الصفوف، ويغزونك من خلال شاشاتهم السوداء. إنهم اليوم سيقولون لك: نحن نشكُّ في رحلة الإسراء، فكيف لآخر نبي أن يزور مسجدًا وهو ما زال لم يدعُ إلى الله في العلن؟ فمن بناه إذًا حتى يصير مسجدًا للمسلمين؟!

قل لهم: إن الدين عند الله واحد، لا تبديل فيه، ولا تحريف، إن الدين عند الله الإسلام.

وانتبه لأنهم ..

يريدون منك أن تشك .. ثم يأتي دور آخر لرجلٍ آخر فينفي قصة الإسراء من الأساس، فتشعر كأن الأمر قد أصبح فيه آراء، ثم يأتي رجل تحسبه من بني جلدتنا فينفي وجود البيت .. وعندها سيخرجون ليهدموه من الأساس، ولن تجد أحدًا منهم يُحرم ما يفعلون .. وستجد مَن نفى وجود البيت هو نفسه من سيخرج عليك على الشاشة السوداء مرتديًا رابطة عنق أنيقة ونظارة للقراءة وأخرى للنظر .. فهكذا حال المفكرين الجهابزة يا صديقي .. ثم يؤصِّل لك الأمر على أنه كان بناءً عتيقًا قد بُني في عهد نبي الله سليمان، وعند وفاته قد اجتمع الجن الباقون وحفظوا كُتبهم من السحر الأسود بالقرب من البيت العتيق، وما يفعله اليهود اليوم هو اكتشافات أثرية ربما تفيد البشرية عن قريب، ونحن ليس لنا – معشر المسلمين – في هذه الأرض مرجعية تاريخية، ولا دينية، من الأساس .. وأن المسجد الأقصى الذي تتحدث عنه الآية الكريمة هو مسجد في أطراف المدينة المنورة، وأن مشكلتُنا معهم تكمُن في عدم فهم السياق، فإذا كنت في قلب المدينة، أو في مكة المكرمة وهناك في أقصى الشمال بيت من بيوت الله فستقول: إنه البيت الأقصى تمامًا مثلما قال:

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى).

أُقسم لك أنهم سيقولون ذلك قريبًا بل قريبًا جدًّا .. ولا تسألني كثيرًا أرجوك، فبيننا الأيام، وسترى .. فقد أخذتُ عليك العهد في بداية الطَّواف

ألَّا تُرهقني من أمري عُسرًا، وفقط دعني أُفرغ بين يديك كل مراجع التاريخ التي طوفتُ بها جميعًا حتى أجمع صحيحها بين يديك؛ لكي تَعي الدرس وتفهم حقيقة وجودك.

وأُقسم لك يا صديقي أنني ما خُنتك في أي عصرٍ عِشناه معًا، وأنني حملتُك بكل شرفٍ وتجرُّد وأمانة .. وقدمتُ إليك المشهد كما كان وكما حدث.

***

سافَرَ الخليل إبراهيم متجهًا إلى بلاد اليمن، فوجد أهلها يرحلون عنها بعدما أصابها من الجفاف والقحط ما أصابها، فهاجر منها متجهًا إلى مصر، وكان هناك حاكم ظالم يستحيي النساء، ويقتل الرجال، ويُبيد القرى، ولا يدخل مصر رجل مع امرأته إلا وأصابها من عذاب الجسد ما يجعلها تقتل نفسها حياء.

دخل إبراهيم عليه السلام مصر، فسأله الجُند: مَن تكون هذه المرأة؟ أهي زوجتك؟

فردَّ قائلًا: إنها أختي .. فأبلغوا السُّلطان بأمره، فأمرهم بإحضارها وإبقاء الخليل معهم.

دخلت سارة إلى قصر هذا الفرعون الظالم، وكان يُدعى (سِنان بن عِلوان بن عُبيد بن عَوج). دخلت عليه وفي قلبها إيمان يزن أُمةً بأكملها .. لا تخشاه، ولا

تُقيم له وزنًا، فإذا به يُصعَق من شدة جمالها وحُسنها الشديد، فقد كانت السيدة سارة من أجمل نساء الأرض في ذلك الزمان .. فيُراودها عن نفسها في المرة الأولى .. فَتدعو سارة ربَّها أن يُنجيها منهُ .. فيسقط سِنان مشلولًا لا يستطيع الحراك، فيستَعطفُها أن تَدعو ربَّها أن يفكَّ عنه ما قد أَلَمَّ به ولها ما شاءت، فتدعو له، فينهض ليراودها مرةً أخرى عن نفسها، فتدعو ربَّها فيسقط، ظَلَّ على هذا الحال مراتٍ ومراتٍ حتى طفح كيلُه منها. فصرخ في جُندهِ أن أخرجوها فما هي إلا شيطانة، وما له عليها بسبيل، تمامًا مثل هذه الفتاة المارقة، وأمرهم أن يعطوها هاجر حتى تصطحبها سارة معها وتخرج بها من قصر الفرعون. لتأتي إلى إبراهيم فتقصُّ عليه ما كان من أمر الفرعون وهاجر.

***

رجع إبراهيم إلى بيت المقدس، ومعه من الأموال والأغنام الكثير الكثير، فاستدعى ابن أخيه لوطًا؛ كي يأخذ ما شاء الله له منها، فأخذ منها ثم رحل.

شعرت سارة أن الخليل قد كبر، وطعن في السِّنِّ، وهو يحتاج إلى ولد يحمل من بعده هَمَّ التبليغ والدعوة إلى الله .. فما كان منها إلا أن زوَّجتهُ بهاجر المصرية لما وجدت فيها من حُسن الخلق، وصلاح الدين.

تزوَّج الخليل إبراهيم بالسيدة هاجر، فحملت هاجر، وأتَمَّت حملها، وأنجبت له الولد الأول، أنجبت له الذبيح الناجي بالقربان العظيم جد العرب، والإمام الحليم إسماعيل عليه السلام.

قُرى سَدوم

اليوم مثل الأمس، مثل سائر أيام الله في أرضه .. المعصية لا تحل مهما يختلف فاعلها، ومهما تختلف الأرض التي يُعصى الله فيها ..

أنت الآن في رحلة عبر الزمن، ستَرى فيها أشياء ربما لم تَرَها من قبل، فيها سترى انعكاسًا حيًّا لواقعنا المرير الذي نحياه أنا وأنت .. سترى المثليين الأوائل في صورتهم الأولى، كيف كانوا وكيف عاشوا وكيف بدأت رحلتهم في الانحراف .. وكيف استطاعوا أن يبتكروا الجريمة التي اهتزَّ من أجلها عرش الرحمن.

أنت الآن ستهبط معي في المكان الذي عاش فيه قوم لوط بن هاران.

***

هل سألت نفسك ذات يوم: ماذا لو لم يكن هناك تقدم تكنولوجي حديث كالذي نحياه الآن؟ هل كانتً الحياة ستمُر رتيبة كئيبة أم أنك كنت ستبتكر لنفسك شيئًا بديلًا تجد فيه بعض السعادة والمُتعة حتى ولو كانت سعادة عابرة ومتعة لبعض الدقائق من عمرك الذي يمتد سنوات طويلة؟ هل كنت

ستمتلك القناعات نفسها التي تمتلكها اليوم؟ أم أنك كنت ستنحرف وتهوي في بئر الانحراف الكبير، أو ربما كُنت ستصير واحدًا من أولئك المُبدعين في تسهيل المتعة لغيرك، لا تنزعج من طرحي ومما أقوله لك، فأنت فقط ترفض الفكرة؛ لأنها لم تُعرض عليك ولم تحيَ في هذا العصر، ولم تُخلق في هذه الحقبة المُرة من عُمر الأرض، ومن ثم لم تكن من الجيل نفسه الذي وقع في الذنب العظيم، لذا فاشكر الله أن عافاك من هذا الاختبار الصعب. فأنت لا تعلم يا صديقي قيمة الأوطان إلا عندما ترى غيرها. فحرام هذا الوطن حلال هناك، ومباح هذه الأرض ممنوع هنا. ومشردو التاريخ والباحثون عن إقامة الدولة الفاضلة، وبمن فيهم الأنبياء كلهم رحلوا، وكلهم هاجروا من أوطانهم؛ لأنهم خافوا أن يضلوا مع مَن ضل.

الآن سنُحلق أنا وأنت فوق أخبث بقعة شهدتها الأرض على مدار تاريخها كله. أنت الآن تُحلق فوق سماء الجيل الأول للمثليين الأوائل، وعبدة الشيطان على وجه الأرض.

هناك في قلب جزيرة العرب .. في أرضٍ سَهلة مليئة بكل أنواع الزراعات على اختلاف أشكالها وألوانها جميعًا .. وفي قرى عُرفت بين العرب باتحادها وقوتها وغِلظة أهلها، وبأسهم الشديد، بالتحديد في شمال شرق الجزيرة العربية، منطقة البحر الميت، دولة الأردن. هنا عاش قوم لوط بن هاران. هنا عاش الجيل الأول للمثليين الأوائل وعبدة الشيطان على وجه الأرض.

كانت بلادهم خصبة لدرجة أن جميع القرى التي كانت حولهم تغار منهم ومن قوتهم، وكان الناس يأتون إلى ناحيتهم لينالوا شيئًا من تلك الثمار وذلك الخير الوفير، لكنهم كانوا يقطعون الطريق على كل من كان يأتي إليهم طالبًا العون والمدد، ويؤذون كل من يمرُّ باتجاه قريتهم.

إلى أن .. دخل عليهم الملعون، هبط عليهم إبليس على هيئة شابٍّ وسيم الخِلقة، إذا رأيته لم تستطع أن تحدد هُويته ونوعه من أول وهلة .. أرجُل هو أم أنثى!

دخل عليهم طالبًا المدد والعون، فَأَبَوا أن يُضيِّفوه أو يعطوا له شيئًا مما يطلب، بل قاموا بحبسه .. وهو يعلم جيدًا أن هذا سيكون ردهم، فأخبرهم بذلك، وقال لهم: إنه كان يعلم رفضهم، ولكنه لم يأتِ إلى هذا فحسب، بل جاء لسعادتهم، فقالوا له: وكيف ستكون سعادتنا؟ فدعاهم لنفسه، دعاهم لكي يقعوا عليه ويفعلوا معه الفاحشة التي عَفَّت عن فِعلها الحيوانات الضارية والوحوش العاتية .. طلب منهم أن يفعلوا به ما شاؤوا مقابل

أن يمكُث معهم في ديارهم بعض الوقت، فتعجبوا منه قليلًا ثم قَبلوا طلبهُ ووقعوا عليه بالفاحشة .. وكانت هذه هي المرة لأولى لواقعة مثليين تشهدها الأرض، هبط الملعون مثلما هبط على قوم قابيل من قبل، ولكن هذه المرة جاء بأخبث الخبائث، ودعاهم إلى المثلية الجنسية، ثم مكث معهم في ديارهم حتى ألِفوا هذا الأمر واستحسنوه، وأصبحوا يفعلونه بكل من يأتي إلى ناحيتهم طالبًا منهم المدد والعون، مكث معهم إبليس وقتًا ليس بالقليل، حتى اطمأنَّ أنه ما خلا بيت في القرية لم يرتكب صاحبه هذا الأمر المهين، ثم أعطاهم هذه الفكرة لينفروا الناس ويمنعوهم من الذهاب ناحية قريتهم، إلى أن دخلها لوط بن هاران، فخرج منها إبليس بعدما أيقن تمامًا أنهم أدمنوا فَعلتهم، وأنهم لا خلاص فيهم، خرج إبليس من قرى سدوم خائفًا يترقب.

***

دخل لوط - عليه السلام - إلى قُرى سدوم، ومعه من الخير الوافر ما مَنَّ الله عليه به .. وما أعطاه إياه عَمُّهُ الخليل إبراهيم - عليه السلام - ولكنهم سرقوا منه كل أمواله عند دخوله عليهم، وأخذوا منه كل ما أعطاه إياه إبراهيم عليه السلام.

عَلم الخليل بما حدث مع لوط - عليه السلام - فجمع ٣١٨ رجلًا، وذهب بهم إلى قُرى سَدوم؛ لكي يُعيد الحق إلى صاحبه، فهزمهم الخليل شَرَّ هزيمة، وأعاد الأموال إلى لوط - عليه السلام - مرة أخرى، ولم يَقدر أن

يقترب منه بعدها أحد، واستقرَّ فيهم لوط - عليه السلام - ثم عاد الخليل ثانية إلى بيت المقدس.

في بادئ الأمر مارسوا هذه المعصية في الخفاء بين بعضهم البعض في حضور ذلك الشاب الجميل قبل أن يرحل، ثم صارت مجموعة من الناس تُمارس هذا الأمر، وهو معهم، كأنه قد صار أيقونة للمتعة المستحدثة، ثم كَون كلٌّ منهم مجموعة جديدة مع أشخاص جُدد ممن جاؤوا لطلب المدد منهم، ثم ابتكر أحدهم مجلسًا للمتعة الجماعية، ثم كثرت المجالس، فصارت نوادي للرذيلة يجتمعون فيها، فينظرون أيهم أقوى في فعل هذا الأمر، إلى أن صارت القرية كلها تمارس الفاحشة في العلن كأنها صارت أمرًا طبيعيًّا.

وذات يوم يخرج عليهم لوط داعيًا وناصحًا ومنذرًا أمينًا، فقال:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

أيا قومي، إني والله ما عَلمتُ أحدًا من الخَلق قد فعل فعلتكم هذه، فأنتم والله قد أسرفتم في المعصية، وتجاوزتم حدود الأدب مع الله، فهل تعلم ماذا كان جوابهم عليه؟

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

هل ترى التناقض في المعايير؟ فأنت هنا في مجتمع يَطرد كل من يتطهر، بل أصبحت صفة المدح ذمًّا، وصفة التطهُّر جريمة يُعاقب عليها لوط أن ينفوه من أرض عَمورة.

أُرسل لوط إلى هؤلاء القوم ليعلّمهم توحيد الله، وتَرْك الفاحشة التي كانت ظاهرة فيهم، ومنتشرة انتشارًا عفَّت عنه بعض الحيوانات، عندما كانت ترى أصحابها على فعلها عاكفين، لكنّ قوم لوط لم يستجيبوا لأمره، ولم ينتهوا عن فعلهم القبيح الذي كانوا يأتونه جهارًا، حيث هدّدوه بالإخراج من قريتهم، ولم يكن هناك سبب لذلك إلّا لطهارته، ونقائه، وتوحيده، وصرّحوا له بذلك، حين جاهر بالدعوة إلى الله، فجاهروا بطرده قائلين:

﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

وفي ذلك تمادٍ واضح وفِسقٍ مُبين، فقد جُبلت النفس على الطاعة، وكُره المعصية، حتى ولو لم تكن مؤمنة .. ولكن من أي نسلٍ قذرٍ كان هؤلاء القوم! إذْ لم يكتفوا بصفاقتهم بإعلان بالفاحشة، بل إنّهم كرهوا من يدعوهم إلى الطُّهر وإعمال الفطرة، أخذ لوط - عليه السلام - يحاورهم، ويحاول أن يردهم إلى دين الله تعالى، ويبعدهم عن الشذوذ الذي وقعوا فيه، والمعاصي التي استمرؤوها فمارسوها، وراح يخبرهم أن الله – تعالى - سيُعاقبهم إن لم يقلعوا عن ذلك، فجادلوه وأكثروا النقاش معه، ولما يئسوا منه، ولم يفلحوا في ردِّ حُججه عليهم قالوا له:

﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

بحكم أن فطرتهم الشاذة كانت تدلُّهم على أن العفاف والطهارة أمر سيئ يستحق فاعله الإخراج والطرد من القرية التي يسكنونها. وبالرغم من دعوة لوط – عليه السلام – لهم، فإن أحدًا منهم لم يؤمن برسالته، بل زادوا في تماديهم وعصيانهم، حتى يئس عليه السلام من نتائج دعوته لهم، ودعا عليهم بأن يُهلكهم الله لما يفعلونه من هذه الجريمة النكراء .. فأرسل الله – تعالى – إليه خاصة ملائكته.

***

حضور الملائكة

قبل أن يصل الملائكة المُرسلون وهم (جبريل، وإسرافيل، وميكائيل) الذين أرسلهم الله – تعالى – إلى قوم لوط. ذهبوا أولًا إلى إبراهيم – عليه السلام – لكي يزفُّوا إليه البُشرى السارة التي أراحت قلب سارة زوجة الخليل إبراهيم .. ذهبوا إليه على هيئة بشر، فأكرمهم إبراهيم عليه السلام، وذبح لهم عجلًا عظيمًا، ثم قرَّب إليهم الطعام، لكنهم لم يأكلوا، ولم يمدَّ أيٌّ منهم يدَه إلى الطعام، فخشيَ على نفسه وأهله منهم لربما يضمرون سوءًا في نفوسهم له، فطمأنوه، وبيَّنوا له أنهم ملائكة من عند الله تعالى، لا تأكل ولا تشرب، وعاجلوه بالبُشرى ..

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾.

هنا صكَّت السيدة سارة وجهها من أثر وهول المفاجأة العظيمة ..

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾.

فردوا عليها قائلين:

(قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ).

ثم أخبروه بأنهم سائرون نحو قوم لوط ليهلكوهم، فخاف نبي الله إبراهيم – عليه السلام – على ابن أخيه لوط، الذي يعيش في تلك القرية الظالمة، وراح يُجادلهم ..

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾.

فأخذ يقول:

هل يهلك الله قرية فيها ثلاثمئة من المؤمنين؟ فقالوا: لا .. ولكنها ليس فيها ما تقول. ثم أخذ يُنقص لهم في العدد ويسألهم إلى أن قال: أتهلكُ قرية وفيها مؤمنٍ واحد؟

فقالوا : لا، والله.

فاستبشر خليل الرحمن وقال لهم حينها: إن فيها لوطًا.

فردوا عليه:

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

ثم قالوا له:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

بعد هذه الزيارة توجَّهت الملائكة إلى ديار قوم لوط في صورة شُبان حِسان الخِلقة، بيض الثياب، وكان لوط – عليه السلام – يسكُن في أطراف المدينة، فأتوها نصف النهار .. فلما بلغوا نهر سَدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت لهُ ابنتان، اسم الكُبرى ريثا، والصغرى ذعرتا، فقالوا لها:

يا جارية .. هل من منزل لنا يأوينا حتى الصباح؟

فردت عليهم:

مكانكم لا تفارقوه .. ولا تَدخلوها حتى أعود إليكم ..

ثم أشارت بيدِها ناحية القرية. ثم هَرولت فأتت أباها مُسرعة .. فقالت: يا أبتاه .. أرادك فِتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قومٍ قط هي أحسن منهم .. إذا رآهم قومُك سيفضحونهم لا محالة.

فذهب إليهم لوط مسرعًا؛ لكي ينهاهم عن ضيافة هذه القرية .. فهذا أشرف لهم وأطهر لكنهم ألحوا عليه في طلب الضيافة فاستحى منهم وقال في نفسه:

﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾.

انطلق لوط أمامهم، وجعل يَعرض لهم في الكلام، لعلهم ينصرفون عن ضيافة هذه القرية، وينزلون في غيرها، فاستوقفهم في الطريق ثم قال:

فو الله الذي لا إله غيره ما أعلم على وجه الأرض أهل بلدةٍ أخبث من هؤلاء القوم، ثم مشى قليلًا، ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات، وهم يسمعون، وكانت هذه شهادة منه للملائكة على قومه .. إذ لم يكُن الله ليُعذب قومًا حتى يُشهد رسولهم عليهم.

وصل لوط – عليه السلام – بصُحبة الضيوف إلى البيت، وخبَّأهم كيلا يحسَّ بهم أحد من أهل القرية، إلا أن امرأته كانت مجرمةً مثل قومها، فذهبت إلى قومها وأخبرتهم أن لوطًا – عليه السلام – استضاف شبانًا حسانًا في بيته .. لم تَرَ في حُسنهم قط.

فأسرع قومه إليه مستبشرين فرحين .. لِما سيفعلونه من الفواحش مع هؤلاء الضيوف.

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾.

لَمَّا وصل قومه إلى بيته، قرعوا عليهم الباب، فرفض - عليه السلام - إدخالهم على ضيوفه، وخاطَبهم من وراء الباب، فغضبوا لذلك، وقالوا له: ألم نحذرك من استضافة الرجال في بيتك يا لوط؟

فقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

أي لو كان لي أهلٌ وقوة أستند إليهم لما استطعتم قول ذلك، وأخذ يذكِّرهم بالطريق الصحيح، والفطرة السليمة في قضاء الشهوة، وقال لهم من وراء الباب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

فردوا عليه قائلين:

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

فاستشاط غضبًا فقال:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

رغم هذا النصح والإرشاد، فإن قوم لوط فضَّلوا مخالفة الفطرة السليمة واستحلوا سوء الأخلاق على ما فطر الله – تعالى - الناس عليه، فدخل لوط - عليه السلام - إلى ضيوفه، وهو في حيرة مما سيصنع معهم، وهنا قام له جبريل - عليه السلام - يطمئنه فقال:

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ﴾.

ثم خَرج جبريل عليهم في هيئته البشرية الجميلة، فصمتوا من شدة جماله وبهائه لفترة ليست بالقليلة، ثم انقضوا عليه يريدون فعل الفاحشة، فتحول لهيئته الملائكية، فضرب أعينهم بجناحيه، فطَمَسَها تمامًا كأنها لم تكُن من قبل، فتراجعوا إلى الوراء عميانًا يلهثون، لا يعرفون طريق العودة، لكنهم ظلوا يستصرخون لوطًا، ويتوعدونه بالانتقام الأليم مما جرى لهم.

بعد تلك الحادثة وأمام بيته عليه السلام بلحظات، أمرته الملائكة بالخروج من القرية، هو وأهله جميعًا وهما ابنتاه ريثا وذعرتا وزوجته، لأنه قد حان أمرُ ربك فيهم وموعدهم قد اقترب.

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

وطلبوا منه ألَّا يلتفت منهم أحدٌ إلى ما سيصيب سدوم من العذاب، وأخبروه أن الله سيكتب لهم النجاة إذا فعلوا .. فأسرع لوط – عليه السلام – هو وأهل بيته في الخروج من القرية الظالمة، وفي أثناء خروجهم تراجعت زوجته وقالت: واااقوماه! واستدارت إليهم قاصدة أهلها من قرى عَمورة، وكانوا يُقدرون بـ ٤٠٠ ألف نسمة في ذلك الوقت، فأصابها ما أصاب قومها من العذاب ..

خرج لوط – عليه السلام – من قرى سَدوم قبل شروق الشمس ..

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

ثم اقتلع جبريل - عليه السلام - تلك القرى السَّبع من فوق الأرض بطرف جناحه، حتى قيل إنه ظهر ماء الأرض الأسود، وذُكر أن أهل السماء سمعوا نباح كلابهم وصياح ديوكهم في ذلك الوقت، فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل، كان كل واحدٍ منها مُقدَّرًا ومرسلًا باسم صاحبه الذي ستسقط عليه، ثم عاجلهم جبريل بصيحة أهلكتهم ودمَّرت منازلهم جميعًا، وقلبت تلك القرى رأسًا على عقب، ودُكت في الأرض دكةً واحدة، فصارت إلى الآن أكثر الأماكن هبوطًا على وجه الكره الأرضية.

فإن العلماء يُقدرون مستوى الانخفاض في تلك المنطقة بـ ٤٠٠ درجة تحت سطح البحر، وهي النسبة الأعلى في العالم في مستوى الانخفاض.

وجعل عاليها سافلَها، ثم أمطرت السماء بوابل من الحجارة على رؤوسهم، فلم يبق أثرٌ بعدها لأي منهم.

ويذكر علماء الجيولوجيا والتنقيبات الأثرية الذين درسوا طبيعة الأرض وحلَّلوا مواد التربة الموجودة في منطقه البحر الميت لمدة تجاوزت العشر سنوات متواصلة، أن ما حدث لهذه البقعة من الأرض لا يُصدق على الإطلاق، فقد توقفت كل مظاهر الحياة فجأة في المدينة، كأن نيزكًا قد ارتطم بهذه القرية فأهلكها، فعملية اختفائهم وإبادتهم تكاد تكون مُشابهة لما يحدث

في حوادث الانفجار النووي الكبير، وكأن هلاك قوم لوط كان يعد كأول انفجار لقنبلة نووية في التاريخ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

ثم أمطرت السماء مطرًا كثيفًا ليتجمع هذا المطر مكونًا ما نسميه اليوم بـ (البحر الميت) ليظل شاهدًا على أبشع جريمة بشرية ارتُكبت في حق الجنس البشري على مدار تاريخ وجوده على هذا الكوكب. وهلكت قرى سدوم وعَمورة، ولكن ما زالت آثار جريمتهم النكراء قائمة إلى الأن تشهد عليهم:

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

مات قوم لوط، وانتهت رحلتهم القذرة .. ونجا لوط وبنتاه، وخرجوا من القرية الظالمة، واتجهوا ناحية بيت المقدس.

الخاتمة

إلى هُنا فقد انتهت رحلتك الأولى بصُحبة الطَّـواف .. ولكن، قبل أن أهبط بك إلى عالمِك المُظلم، وتفارق عالمي لفترة ليست بالقليلة .. أريد منك شيئًا في غاية الأهمية .. أريد منك أن تتأمل معي شكل الأرض من هنا، من أعالي السماء الصافية والفضاء الواسع الكبير، ودَعْكَ من الأرض وما يحدُث فيها .. وما تراه كل ليلة على شاشاتهم السوداء من قتلٍ وتعذيبٍ ودمٍ ونار .. فقط أغمضْ عينيك، واسبح بروحك فوق سماء البشرية المظلمة .. انظر إلى تفاصيل الأرض البسيطة .. إلى دولها وشعوبها مختلفي العادات واللغات والتقاليد .. انظر إليهم، ثم ارتفع شيئًا فشيئًا إلى أعلى، ثم انظر إلى الأرض كقارات مختلفة مترامية الأطراف متباعدة المسافات، ثم ارتفع شيئًا فشيئًا، وانظر إلى الأرض نظرة شمولية موحدة .. لا يحدُّها حدود ولا يفصلها سدود.

أُقسم لك أنك لو فعلتَ هذا ولو دقائق معدودة، فسترى ما لم تَرَه من قبل، وستشعر بأن ما تعانيه وتكافح من أجله كل ليلةٍ لا يساوى شيئًا ..

فمن هُنا سترى البدايات كيف كانت .. وكيف بدأت أولى خطواتك على هذه الأرض .. وستُدرك حينها كيف كانت بداية البشرية التي تجاوزت الـ ٣٠٠ ألف سنةٍ تقريبًا منذ أن خطا الإنسان أولى خُطواته على هذا الكوكب الذي أوشك على الزوال.

ستُدرك إذا فعلت أنك تعيش في الصفحة الأخيرة من عُمر الأرض، وستشعر بـأن لا قيمة في كل ما تقوم به البشرية من صراعات داميةٍ وحروب لا تنتهي.

ولكن...

تذكر جيدًا أنك عندما ستُغلق تلك الصفحات قد صرتَ وحيدًا بدوني، وأنني لن أعود إليك عمَّا قريب، فعند هبوطك إلى الأرض لا تنزعج مما سيحدث لك .. لأنك ستقرر أن تحيا كريمًا عزيزًا لا تهاب أحدًا، ولا تخشى الموت، وليس هذا هو وجه التعجب، بل التعجب الحقيقي أنك قد صرت تُقرر ...!

ولأننا بخير ...

سيأتي يوم تعلم فيه جيدًا أن الحياة التي تئنُّ منها طوال الوقت ما كانت إلا رحلة في مهرجان إلهي مُقام للبشر في كل مكانٍ، وفي كل أوان .. وعليه، فإذا نظرنا إلى الأرض بمفهومٍ الشمولية فستجد أننا في حلقة من حلقات

التكامل الإنساني الذي فقط يحتاج إلى عقيدة واحدة تضبط السلوك العقائدي والمجتمعي، وتُصحح مفاهيمه ..

يقول الفيلسوف الأيرلندي جورج برنارد شو:

(الإسلام في رأيي لو تولى زمام الأمور اليوم في عالمنا لوُفِّق في حَلِّ جميع مشكلات العالم بما يؤمِّن السلام والسعادة التي ترنو إليها البشرية، فإن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير النبي محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، وإنه أقوى الأديان على هضم جميع حقوق المدنيات، وإني أرى الكثير من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بيِّنةٍ من أمرهم، وأن الدين الإسلامي سيجد مجاله الفسيح في أوروبا .. شاء الغرب أم أبى).

***

فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يعرف معنى الشمولية، ويُعلي قيمة الروح، ويُعزِّز قيمة الإنسان في الأرض .. نحن هنا على هذه الأرض في رحلةٍ ممتعةٍ، وفي جولةٍ سريعةٍ، نتدرب فيها على الحياة الأبدية التي سندخلها بعد الموت، فبالموت ستتغير تلك البرمجة المؤقتة إلى برمجةٍ دائمةٍ. وعند تلك النقطة ستعلم أن الأرض كانت احتفالية إلهية روحانية .. وأن الله – سبحانه وتعالى – أعطى كل واحد منا آلاف الآلاف من الفرص المُهدَرة.

ولَكِن .. دَعني أسألك سؤالًا آخر: هل أطلقتَ روحَك ذات يوم حتى تسبح في ملكوت الربوبية؟ هل سألت نفسك: لماذا لم يخلِق الله الروح على هيئة عُضو بشري محسوس نراه جميعًا؟ بل خلقها شيئًا داخليًّا لا يُرى ولا نقدر على إرجاعه أو إصلاحه؟

نعم هي كما فكرت تمامًا .. وهي .. لو خُلقت الروح عضوًا محسوسًا لما سَبحَت في عوالم مختلفة، وما كان بمقدورها أن تُفارق جسدك وأنت نائم لكي ترسم لك تلك الأحلام الوردية كل ليلة، وذلك لأن الأعضاء الملموسة محدودة القدرات.

لذا فانتبـــه ..

فأنا وأنت وكل أصحاب النيات الحسنة بعض الشيء، الذين عبروا قطار الحياة، وسكنوا هنا في هذه الأرض، كانوا يتطلعون بشغفٍ إلى ذلك العصر الذهبيِّ الذي تَسودُ فيهِ الحريةُ والسلامُ والعدلُ والحبُّ والأُخوة، ذلك العصر الذي لا يُقاتِلُ فيهِ الإنسان أخاهُ الإنسان .. ذلك العصر الذي يُؤدِّي فيهِ تطوُّر كلِّ أمَّةٍ وتقدُّمُها إلى تَطوُّرِ الأُممِ الأُخرى جميعًا وتقدُّمِها.

ذلك العصر الذي يَعرِفُ الناسُ فيه جميعًا ربَّهُم حقَّ المعرفةِ، ويَغمُرُ عُقولَهم العلمُ ببارئهم، كما تَغمُرُ المياهُ البحار، ذلك العصر الذي يَرتَقي فيه البشر بفضائلِهم عن نَزَواتِهم وَفقَ نَسيجٍ مُتداخِلٍ مِنَ الماديَّةِ والرّوحانيةِ معًا .. ولكن هذا لم يحدث مطلقًا، بل على العكس تمامًا، فبالرغم من معرفتنا

المحدودة، وعلمنا الضئيل بكل ما يدور من حولنا، تقاتَلْنا، وسفك القوى منا دماء الضعيف، وتصارعنا على إبادة الجنس البشري باختراع الأسلحة المدمرة، بدل مكافحة الأمراض والحروب والجفاف والمجاعات التي غزت، بل أبادت بُلدانًا، وأزالت بلادًا، وأهلكت شعوبًا برمَّتها.

(إنهُم يجعلون مهمة انقراضنا أمرًا سهلًا للغاية).

وهذا لا يعدُّ أمرًا معقدًا أو مستحدثًا على طبيعة الأرض .. فعلى هذه الأرض التي تجاوزت ٤ مليارات سنة تقريبًا انقرض ٩٩٪ من إجمالي الكائنات التي سكنتها طوال تاريخها كله في فترات الانقراض الخمس الأولى التي شهدتها الأرض .. ويؤكد علماء الأحياء أننا الآن نعيش في منتصف المرحلة السادسة والأسوأ في تاريخ الانقراضات التي شهدتها الأرض، وتكاد تكون الأخيرة في عملية انقراض الأنواع وفناء الكون .. ففي ال ٥٠٠ سنة الماضية فقط انقرض عددٌ لا نهائي من الأنواع التي فاقت ما قد انقرض في الـ ٢٠ مليون سنة الماضية من عمر الأرض.. (حقيقة).

وهذا يؤكد لنا أمرًا في غاية الأهمية، وهو أننا نسير إلى مرحلة اللاوجود...

صِرنا نمتلك سلاح العلم والتقدُّم والفهم والرؤية والمعرفة علاوة على علمنا المُسبق بحوادث الأمم الأخرى، ولكننا على مشارف الوقوع في الهاوية!

ولك أن تعلم ...

أننا بالرغم من كل ما توصلنا إليه من أبحاث علمية وتجارب عبر مئات المئات من السنين، وتحليلًا لكل مصادر الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب الأخرى التي وصل لها الإنسان .. كانت الحقيقة كارثية بكل معنى الكلمة، فنحن بكل علمائنا ومفكرينا وباحثينا عبر رحلة الزمن التي امتدت سنوات طويلة جدًّا من البحث والدراسة لم نستطع أن نعرف شيئًا عن عالمنا الكبير سوى عن ٥٪ فقط من إجمالي هذا الكون الهائل العملاق .. وأن هناك ٩٥٪ من حجم الكون لا نعرف عنه أي شيء حتى الآن .. ولعجزنا الرهيب عن معرفة هذا الكون الهائل الكبير الذي يحتوي على آلاف الآلاف من النجوم والمجرات والأجرام السماوية العملاقة، أطلقنا على هذه النسبة الهائلة اسم العالم المظلم أو قوى الظلام... (حقيقة).

فلا تَدعهُم يخدعوك ...

فَهُم دائمًا يصدرون لك أنهم توصلوا لكل شيء .. وأنهم أدركوا الحقيقة كاملة .. وأن ما حدث في العالم لم يكن سوى مصادفة ناتجة عن الانفجار الكبير الذي حدث في بداية التكوين..

ولكن .. الباحث والمُتابع والمَعنيَّ بظواهر الوجود يعلم جيدًا أن البداية كانت كما جاءت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وأن النهاية حتمية الحدوث .. وأن الزمن الآن في مرحلة الاستدارة الكاملة للوراء .. وأن سلسلة الوجود ما عاد فيها غير حَبات قليلة جدًّا، ونحن إلى زوال، أو بمعنى أدق، إلى بداية ثانية ...

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾.

وأُصدُقُك القول يا صديقي العزير أنني ما بدأت تلك الرحلة الطويلة معك حتى أُخبرك ما كنت تجهلهُ أو أقُصَّ عليك ما غيري يُخفيه .. ولكنني حملتُك لأن نهايتي قد حانت، وأشتمُّ من هناك رائحة الموت قادمة .. فما دُمت سأغادر عالَمك القذر لا محالة .. فقد قررتُ أن أرحل خفيفًا دون أحمَّال، وأطَوِّق بها عنقُك الثمين لكي أرتاح .. ولكي تعلم جيدًا أنك لستَ في مأمنٍ وأنت تعيش بين بني البشر ..

إليك تلك القصة ..

في عشرينيات القرن الماضي ظهرت حركات الشيوعية التي ضمَّت ما يقرب من ٣,٥ مليون من بني آدم في دول الاتحاد السوفييتي، أوروبا الشرقية، أمريكا اللاتينية، كوريا الشمالية، كمبوديا والصين، وكانت هذه الحركات الهدف الرئيسي منها هو إلغاء مفهوم الدين ونشر الفكر الإلحادي في المجتمعات غير الملحدة حتى بلغت دعوتهم إلى حد قيام ما يُسمى بتنظيم (الإلحاد العسكري) الذي قضى على عشرات الملايين من البشر لمجرد تبنيهم لأفكار دينية.

وفي كتابه (وَهم الإله) الذي صدر عام ٢٠٠٦ يُقرر زعيم المُلحدين ريتشارد دوكينز أن يُشعل فتيل الإلحاد لكي يُنير الطريق لعاشقيه فيقول:

(إن أكثر الصراعات في العالم نتجت عن وجود الأديان، وأن السبيل الوحيد للخروج من كل تلك الصراعات هو التخلي عن الأفكار والمعتقدات الدينية من الأساس، وذلك لأن احتمالية وجود إله من عدم وجود إله هي احتمالية ضعيفة للغاية).

ليحقق ريتشارد دوكينز أعلى نسبة مبيعات في العالم .. لدرجة أن وصلت نسبة المبيعات إلى ٣ ملايين نسخة حتى عام ٢٠١٤، ويُترجم كتابه إلى ٣١ لغة حول العالم.

ولكننا هنا نُريد أن نُخبره بأمر ربما يعلمه جيدًا .. فكما جاء في كتاب (التاريخ الأسود للشيوعية) الذي نُشر عام ١٩٩٧ في فرنسا، وأعادت نشره جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية بعدما استثنت منه عدد قتلى الحروب التي خاضتها تلك الدول الملحدة، كانت النتيجة كارثية بكل معنى الكلمة، فقد تجاوز عدد قتلى التنظيم ١٠٠ مليون إنسان في القرن العشرين وحده .. ففي الصين بلغ عدد قتلى التنظيم: ٦٥ مليونًا من بني آدم، وفي الاتحاد السوفييتي بلغ العدد ٢٠ مليونًا من بني آدم، وفي فيتنام مليونًا من بني آدم، وفي كوريا الشمالية مليونين من بني آدم، وفي دولة كمبوديا مليونين أيضًا، وفي أوروبا الشرقية وأوكرانيا مليونًا من بني آدم، أما عدد القتلى في إفريقيا وأفغانستان في القرن الماضي فقط بلغ العدد ٢,٢ مليون من بني آدم ..

كانت كل هذه الأعداد الهائلة من القتلى .. في سبيل القضاء على الأديان وترسيخ سيادة الإنسان على الأرض، وزيادة نسبة المُلحدين .. ولكن المفجع أن أكثر هذه الجرائم لم تكن في حروب متكافئة بين دول متنازعة، بل ارتُكب أغلبها في حق الشعوب المستضعفة والأقليات العرقية والدينية الفقيرة كقبائل الروهينغا المسلمين في ميانمار، الذين يتم إبادتهم يوميًّا وبشكل ممنهج وتجريدهم من كل ما يملكون لمجرد أنهم مسلمون، أو جماعات الأويغور في الصين، الذين يبلغ عددهم ١٠ ملايين نسمة يسكنون جميعًا في منطقة شينجيانغ التي تقع شمال غرب الصين، والذين يتعرضون لأبشع الممارسات اللاإنسانية في التاريخ، فإنه يجري استجواب الأطفال بشكل دوري ومنتظم في المدارس لمعرفة ما إذا كان آباؤهم يقومون بأيٍّ من الممارسات الدينية في المنازل، كالصلاة أو الصيام أو الاحتفاظ بنسخ من القرآن الكريم أو غيرها من الشعائر الدينية، كما هَدمت الدولة عشرات المساجد الخاصة بالمسلمين في شينجيانغ، ومنعت إقامة المساجد في تحدٍّ واضح وصريح لأبسط حقوق الإنسان في اختيار العقيدة .. أما عن روسيا فهي مختلفة تمامًا كعادتها، فهي لا تمارس قمعًا ضد الأقليات المسلمة وحَسب، ففي مناطق القوقاز وجزر القرم تعتبر روسيا أن أي نشاط ديني مخالف، ويهدد الأمن والاستقرار السلمي للمجتمع، وعليه فيجوز قتل كل مَن تراه مُخالفًا وخارج حدود القانون!

وإذا ذهبنا سريعًا إلى أقصى الغرب، وبالتحديد إلى جنوب شرق آسيا حيث تقع دولة الفلبين ستجد مسلمي المورو يتجرعون العذاب المُهين.. فليس عيبًا أن تتبنى أفكارًا وتعظمها ما دامت لا تضرُّ غيرك ولا تُقلل من معتقداته، ولكن العيب كل العيب أن تدفع أموالًا على سبيل الرشوة حتى تقتل غيرك بسلاح الدولة، بل تدافع عنك الدولة إذا فكر أحدهم أن يُقاضيك معك أمام محاكمها .. هذا ما حدث في الفلبين، ففي ١٩ يونيو ١٩٧١ حينما تجمَّع سكان مدينة مانيلي، كارمن، في كوتاباتو الشمالية جنوب الفلبين من المسلمين في مسجدهم للمشاركة في محادثات سلام مفترضة مع الجماعات المسيحية هناك، قامت مجموعة من المسلحين التابعين لجماعة إيلاغا يرتدون زيًّا رسميًّا مماثلًا لتلك التي يرتديها أفراد الشرطة الفلبينية بفتح النار عليهم داخل المسجد ليروح ضحيتها ٧٩ مسلمًا على مرأى ومسمع من الشرطة الفلبينية بل، يتم الإفراج الفوري عن الجُناة بعد تلك الحادثة مباشرةً لعدم كفاية الأدلة مع أنه أُلقي القبض عليهم متلبسين وبحوزتهم الأسلحة المستخدمة .. ولكنها المكاييل المزدوجة، عُرفت تلك المذبحة بـــ مذبحة مانيلي.

أما في الهند فحدِّث ولا حَرج عن المذابح والاعتقالات والقتل الجماعي الذي يُمارسه الهندوس والسيخ ضد المسلمين هناك، ففي عام ١٩٨٧ قامت أقلية من المسلمين ببناء مسجد لهم لإقامة شعائرهم الدينية، وفي ليلة ٢٢

مايو من العام نفسه اعتقلت الشرطة ٤٥ مسلمًا كانوا بداخل المسجد، والذين كان أغلبهم من النسّاجين والعاملين بأجر يومي، ونقلتهم في شاحنة إلى قناة جانجا العليا في مراد نجر، بمنطقة غازي آباد، بدلًا من اصطحابهم إلى قسم الشرطة. وهناك، أُطلِقت النيران عليهم واحدًا تلو الآخر، وأُلقيت جثثهم في القناة. ومنذ ذلك الحين إلى الآن لم يصدُر أي حكم قضائي واحد ضدهم، بل بَقوا في مناصبهم الشرطية، كأن شيئًا لم يَكُن، وعُرفت هذه المذبحة باسم (مذبحة هاشمبورا).

بعد هذه المذبحة بسنوات قليلة، وبالتحديد في ١٧ أبريل ١٩٩٢ شعرت القوات الصربية أنها ليست على ما يُرام، وأنها تحتاج إلى تدريبات قتالية عالية، ولأن تكاليف القتال مع قوات أجنبية باهظة الثمن، فقررت أن تَشن مذابح تطهير عِرقي للمسلمين في البوسنة والهرسك، التي راح ضحيتها ٣٠٠،٠٠٠ مسلم في ثلاث سنوات باعتراف الأمم المتحدة، ففي يوم واحد فقط قتلت القوات الصربية ٨٠٠٠ مدني مسلم في منطقة البوسنة في مذبحة هي الأبشع في التاريخ، عُرفت باسم (مذبحة سربرنيتشا).

أُقسم لك أن هذا التنظيم قائم إلى الآن، وأن ما تراهم يملؤون الساحات والفضائيات ليسوا متحررين فكريًّا كما يزعمون .. بل هم مأجورو إعلام فقط لا غير، ولتعلم جيدًا يا صديقي العزيز أن حروبنا معهم ليستً

حروبًا فكرية، فلو كانت لهانت، ولكنها حروب إبادة، حروب الشياطين في صورتهم الجديدة..

فلماذا يُنكرون؟

ماذا تعتقد لو لم يكن هناك يوم للحساب والقيامة؟ أو لم يخلق الله لنا معابر للوصول إلى الحياة الثانية؟ وأن الظالم لن يُحاسب على ظُلمه، والقاتل سيُترك دون عقاب؟ وماذا عن أولئك الذين قتلوا آلاف الآلاف من البشر، وقضوا حياتهم وهم سادة القوم وحُكامها؟ هل يُعقل أن تكون هناك مساواة بين الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول والمُحسن والمُسيء؟! ماذا سيكون مصير الإنسانية من لدُن آدم وحتى الآن لولا هذا اليوم؟ يوم الحساب.

يقول عمر بن الخطاب:

لولا هَول المحشر لكان الأمر على غير ما ترون، لكانت الدنيا غابةً يعتدي فيها القوي على الضعيف، ويأكل حقَّه، ويأخذ الظالم منها كل ما يريد من المظلوم.

الإيمان بيوم الحشر هو الذي جعل المؤمن يزهد في الدنيا ويبيعها في سبيل الآخرة.

أي مخلوق عاقل يعرف أنه لا بد من أن يكون هناك يوم للحساب من أجل تحقيق العدالة الإلهية .. ولكنها متاهات العقل، ودوامات النفس،

ووساوس الشيطان هي التي تجعل من تلك الروح المؤمنة متشككة، ومن ثوابت الوجود مجالًا للنقاش.

والآن...

شئنا أم أبينا، ستمضي الدنيا إلى نهايتِها دون توقُّف .. فهي تسير كالقطار لتطحن عظام أجيال كانت هنا، وتُعطي الفرصة لآخرين قبل أن يأتي ميعاد رحيلهم .. وسيبقى الإنسان على هذا الحال واقفًا بين اللافناء واللاأبدية .. وشاهدًا على رحلة الأزمان، حتى تهدأ عاصفة روحه إلى الأبد وعندها ..

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

المراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك. (لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري).

٣ ـ البداية والنهاية .. المجلد الأول. (للإمام الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير).

٤ ـ تفسيرات وخواطر الإمام. (الشيخ محمد متولي الشعراوي).

٥ ـ قصص الأنبياء. (الدكتور نبيل العوضي).

٦ ـ تفسير القرآن العظيم. (للإمام الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير).

٧ ـ سلسلة قصص الأنبياء. (الدكتور عُمر عبد الكافي).

٨ ـ العهد الأخير، الجزء الثاني. (لؤي فلبمان).

الكاتب في سطور

الكاتب / وليد عرفة

مصري الجنسية

من مواليد محافظة الغربية

٩ مارس ١٩٩٠ م

تخرج في كلية الآداب/ جامعة طنطا / قسم اللغة الإنجليزية.

حاصل على دبلومة من الأكاديمية البريطانية.

ودبلومة تربوي من كلية التربية / جامعة طنطا.

صدر للمؤلف

ديوان (في جزيرة العرب) عام ٢٠١٥.

عن دار العلوم العربية للنشر والتوزيع.

وشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٦.

ومعرض الشارقة الدولي للكتاب.

الديوان الثاني بعنوان (صور ألوان)

ما زال تحت النشر.

الإقامة .. بدولة الإمارات العربية المتحدة.

للتواصل مع الكاتب نرجو زيارة البريد الإلكتروني

Walidarafa1234@gmail.com

الفيس بوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=100004048910178

دمتم بود وإلى اللقاء في الجزء الثاني ...